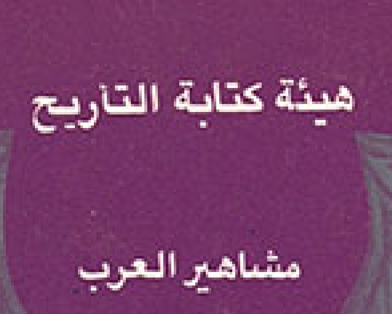

هيئة كتابة التاريخ

مشاهير العرب

القائد
سيف الدولة الحمداني

الدكتور
حمدان عبد المجيد الكبيسي



وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

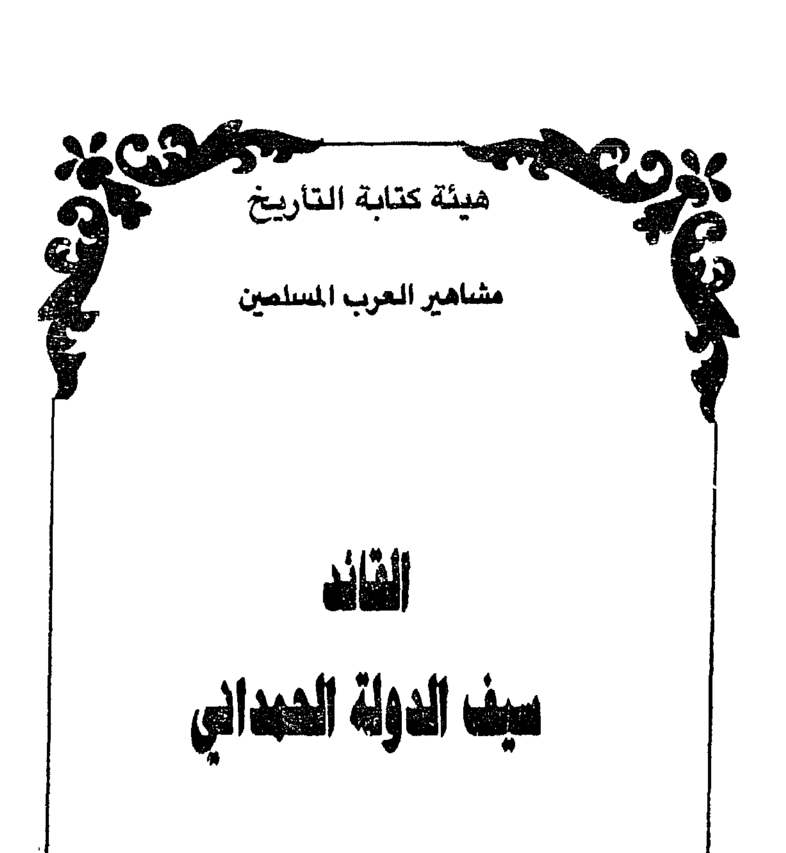
وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد سنة ١٩٨٩



طباعه ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة . « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة:
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



هيئة كتابة التاريخ

مشاهير العرب المسلمين

القائد

سيف الدولة الحمداني

الدكتور

حمدان الكبيسي

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٩

فهرست الموضوعات

المقدمـــة

نادرة هي تلك الحالات التي تشبه حالـة الأمة العربيـة في صراعها الطويل والحضاري والدائم مع الأطماع الاجنبية • إذ ما آن توطدت أركان الدولة العربية ، حتى استطاعت أن تحرر جميع الأراضي التي كانت في قبضة الروم البيزنطيين • ولم يقتصر العرب على ذلك ، وإنما توغلوا في آسيا الصغرى ، ووصلوا الى مضيق البسفور ، وهددوا القسطنطينية عاصمة الامبراطورية نفسها مرات عديدة(١) •

وكان الأمويون قد اهتموا كثيراً في بناء القلاع والحصـون لكي تحمي المـدن والثغور الحـدودية ، وتعصمها من غـارات البيزنطيين • وقد امتد خط القلاع العربية عبر داخـل الممـرات الجبلية ، من حصـن أولاس على ساحل البحر المتوسط ، مـاراً بطرسوس ، وأدنة ، والمصيصة ، وزبطرة ، ومرعش ، ومَلَطْيَة ، وحصن منصور حتى مدينة سميساط على الشاطىء الغربي لنهـر الفرات(٢) • وقد كونت هذه الحصون خطاً دفاعياً قوياً عن حدود الجزيرة الفراتية وبلاد الشـام التي كانت تسـير عادة محاذيـة لسلسلة جبال طوروس • وهي لم تكـن خطاً مستقيماً واضحـاً ومحدداً ، بل كانت مؤشرة بصورة عامة ، في خط متعرج عبـر

مداخل الممرات الجبليه • وجميع هذه الثغور (أو المدن) مناطق حربيه محصنه ، لانها موضع المحاضه مع الاعداء البيزنطيين •

وكان الخليفه العباسي هارون الرشيد قد جعل منطقـة الثغور هذه ولايه منفردة سميت « جند العواصم » ، وبنى فيها ثمانيـة ثغور اهمها طرسوس • كما شـيد دوراً للجند المرابطـين الذين كانوا يتولون حمايه هذه الثغور • ومما عزز موقف المدافعين عن هذه الثغور ، أن الخلفاء وبعض أفراد الحاشية ، كانوا ينفقـون بسخاء على تحصين الثغور ، كمـا أنهم كانوا يحبسون ضياعـاً واسعة ، وعقارات كثيرة ، ترفد الثغور بموارد مالية كبيرة بلغت آلاف الدنانير[٣] •

إن تاريخ الثغور والعواصم هذه يمثل المراحـل المختلفـة للصراع المرير بين سيف الدولة الحمـداني والروم البيزنطيين • ومما زاد في اشتعال أوار هذا الصراع بروز قادة عظام في الجيشـ العربي وفي مقدمتهم القائد العربي سيف الدولة الحمداني •

كان بطلنا سيف الدولة الحمداني قد خبر طريقة قتال الروم البيزنطيين وخططهم العسكرية • فكان يعطي توجيهاته العسكرية، لقادته وجنده ، ويحثهم على أخذ الحيطة من مفاجآت العـدو • وأنه أدرك ، بثاقب بصره ، أن إدامة الجبهة ، والمحافظة على قوتها وقدرتها على التصدي للعدو البيزنطي ، تستلزم ارسـال قـوات اضافية •

ولولا البطولات الفذة التي قام بها القائد سيف الدولة الحمداني ، لما دوى اسمه هذا الدوي القوي الذي يغيب في طواياه الكثير من ذكرى قادة العرب المسلمين ، وبخاصه خلال العصر العباسي •

وتميز الأمير سيف الدولة ، بروحه الكبيرة ، وشجاعته ، وحدقه العسكري الذي صد به عاديات الروم البيزنطيين عن بلاد الشام ، والجزيرة الفراتية ، وأطراف العراق غير مرة •

إن هذه الدراسة المركزة ، تهدف الى تتبع مراحل حياة ، وبطولات ، وانتصارات ، الامير الحمداني سيف الدولة ، محاولة بعث تلك الذكريات من قلب تأريخنا العربي • ذلك أن تقصي تلك المراحل والأمور ، يثير أمامنا الكثير من البطولات المليئة بشتى الصور التي من خلالها تستنهض همم الأمة ، لاعادة بعثها ، لتحمل رسالتها الانسانية من جديد •

الفصل الأول

الحمــدانيون وروح العصــر

١ ـ نسب الحمــدانيين :

ينتسب الامير سيف الدولة الحمداني الى قبيلة تغلب العربية، وهي من أعظم بطون ربيعة بن نزار ، من العدنانية التي ولــدت اللغة العربية في كنفها •

ما زال التغلبيون يتنقلون بحيواناتهم ، وأموالهم ، وخيامهم، شأنهم في ذلك ، شأن بقية القبائل العربيــة ، من تهامــــة ، على سواحل البحر الاحمر ، الى الحجاز ، الى نجد ، الى أرض ربيعة على ضفاف نهر الفرات ، حيث نزلوا سهل الرقة الفسيح • ومنها انتقل حمدان بن حمدون ـــ الذي ينتسب اليه الحمدانيون ـــ الى الموصل • وكان بنو تغلب يدينون بالنصــرانية ، ومع ذلك فان الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطــاب (رض) لم يفرض عليهــم الجزية ، وإنما اكتفى بأن أخذ منهم الصدقة المضاعفة[٥] •

٢ـ مواقف الحمدانيين القومية :

شهد الحمدانيون تسلط النفوذ الاجنبي ، الفارسي ، والتركي ، والبويهي ، وتدخلهم في شؤون الدولة العربية الاسلامية • فرأى ، عميد الاسرة ، حمدان بن حمدون ، أن من واجبه ان يتصدى للعناصر الاجنبية الدخيلة المتسلطة على مقاليد امور الدولة ، وان يوقفها عند حدها ، ويصون قدسية الخلافة من عبث العابثين والشعوبيين • فكان دفاعه عن العروبة والاسلام مجيدا •

رافق بروز الأسرة الحمدانية إرتقاء الخليفة المعتضد بالله دست الحكم • فقد عزم أن يرأب الصدع ، وأن ينهض بالدولة ويعيد لها رونقها ، ونقاءها ، وبهاءها ووجهها العربي الناصع • فاستطاع في سنة ٢٨١هـ ـ ٨٩٤م أن يخضع الحمدانيين الذين تحركوا في منطقة ماردين ، محتجين على تدخل العناصر الأجنبية في أمور الدولة ، وتسيير شؤونها وفق مصالحهم الخاصة(٦) •

غير أن الخليفة المعتضد بالله سرعان ما شعر بحاجته الماسة الى معونة ومؤازرة الأسرة الحمدانية التي كانت تتمتع بمزايا قتالية عالية ، فانخرطت في خدمة الخلافة العباسية ، وأصبحت دؤوبة على اقتناص الفرص لاثبات ولائها واخلاصها ، كلما أسعفتها الظروف •

وكان الحسين بن حمدون قد حظي بتقدير الخليفة المعتضد بالله الذي خلع عليه ، واستجاب لطلبه حين وافق على تكوين فرقة في الجيش النظامي من قبيلة تغلب العربية ، بلغ تعدادها خمسمائة

فارس يتناولون أرزاقاً معينة من الدولة ، ويكونون تحت قيادة الحسين • وهذا بلا ريب ، يشير بوضوح الى ارتباط مصالح الحمدانيين بالخلافة العباسية ، وإن الدولة صارت تعتمد عليهم كثيراً •

ومنذ ذلك الوقت ازدادت شهرة الحمدانيين ، وقاموا بدور مهم في الحوادث السياسية التي وقعت حينذاك • وقد بدأ نجم الحسين بن حمدان في الصعود المفاجيء ، حيث كرس نفسه للقضاء على المعارضين للخلافة العباسية أياً كانوا • لذا انتدبه الخليفة المعتضد بالله لحرب المتمرد هارون الشاري ، فاشتبك معه في حرب ضروس حتى ظفر به واقتاده أسيراً الى الخليفة المعتضد بالله • فاغتبط الخليفة لهذا النصر الذي حققه الحسين بن حمدان، وامتن لبلائه وبطولته ، فأمر باطلاق سراح أبيه من السجن ، وطوق عنق الحسين بالهدايا الثمينة ، وخلع عليه وعلى اخوانه العطايا وكرمهم ، وأحسن الى هذه الأسرة العربية احساناً جعلها موضع رعايته وعطفه(٧) •

وإزاء المواقف البطولية التي وقفها بنو حمدان ، ومحاربتهم أعداء الدولة والمتمردين عليها ، الذين أثاروا القلاقل في الاقاليم الشرقية ، أخذ الخليفة العباسي يثق بهم ، ويعتمد عليهم ، فمنحهم ولاية الموصل ، ثم وسعوا نطاق نفوذهم الى ديار بكر والجزيرة الفراتية ، وشمال بلاد الشام • وسار الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ــ ٢٩٥هـ/٩٠١ــ٩٠٧م) على خطة أبيه من الثقة بآل حمدان

والركون اليهم في أمور كثيرة ، لأنه رأى فيهم الأرومة العربية القوية ، وانهم يشاركون الخلفاء في شعورهم وأحاسيسهم • ففي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م ولى الخليفة ، أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل وأعمالها • وكان أبو الهيجاء شخصية عسكرية وادارية كفءاً ، لعبت دوراً بارزاً في أحداث العصر الذي نحن بصدد التصدي لدراسته(٨) •

واشترك الحسين بن حمدان في الحركة التي استهدفت خلع الخليفة المقتدر بالله ، وتنصيب عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م • ذلك ان الامير الحمداني تلمس أن الخليفة الجديد لم يكن مدركاً أهمية ودور الأسرة الحمدانية التي أسدت خدمات جليلة ، خلال عهدي أبيه المعتضد بالله ، وأخيه المكتفي بالله • فالتعيينات الجديدة التي أحدثها الخليفة الجديد إبان تسنمه مقاليد السلطة ، لم تعترف بحق الأسرة الحمدانية وقادتها الشجعان ، ولم تقدر بلاءهم السابق في مقارعة خصوم الخلافة العباسية في شرق الدولة وغربها •

ولعل القائد الحسين بن حمدان كان يطمح لأن يصبح قائداً أعلى للجيش العباسي ، تقديراً لمواقفه وخدماته • لكنه على ما يظهر ، أصيب بخيبة أمل عندما لمس أن العناصر غير العربية الدخيلة تستأثر بالحكم ، وهاله تدخلها السافر في شؤون الدولة العامة ، وهو الرجل المقدام الذي طبعته الجندية على أن يكون

صريحاً ، مقوماً كل اعوجاج. الامر الذي جعله يقف في صفوف المعارضة [٩].

إلا أن هذه الحركة أخفقت ، فتوارى الحسين بن حمدان عن الانظار . وإزاء هذا الامر تعرضت الأسرة الحمدانية لامتحان جديد ، في عروبتها وولائها للخلافة . حيث أنيط أمر ملاحقة الحسين بن حمدان بأخيه أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان ، فتعقبه حتى أدركه في جبل سنجار . وفي أثناء ذلك كان الوزير علي بن الفرات يشفع له عند الخليفة المقتدر بالله ، فشفع به ، وعفا عنه، ثم عاد فاحتواه في قصره ببغداد ، وخلع عليه[١٠] .

ونظراً لما كان يتمتع به الحسين بن حمدان ، من كفاءة عسكرية وادارية ، حاول الخليفة أن يستفيد منه ، فقلده ولاية ديار ربيعة ، ومن ثم انتدب للتوجه نحو مدينة حلب للقضاء على الاضطرابات التي حصلت هناك ، ليدفع عن هذه المدينة العربية ما كان ينالها من الرعب والجور والتجاوز ، الذي كان يصيبها أحياناً من جراء انفراط حبل الأمن في تلك الديار . ولما كان الحسين ابن حمدان حينذاك مقيماً بـ «الرحبة»، خف مسرعاً، ملبياً أمر الخليفة المقتدر بالله ، فأزال عن مدينة حلب ما كانت تشكو منه، وأعاد الهدوء والاستقرار الى تلك الربوع[١١] .

والظاهر أن فكرة إبعاد الحسين بن حمدان عن العاصمة بغداد كانت قد أتت من الوزير علي بن الفرات الذي كان يتوجس خيفة من بقاء هذا القائد العربي في العاصمة ، خاصة وهو ذو أنصار

وطموح • ويخيل لي أن الخليفة والوزير ارتكبا غلطاً كبيراً بابعادهما الحسين بن حمدان عن العاصمة ، إذ لم يحاولا أن يعملا توازناً بين فرق الجيش وقادته •ذلك أن خروج الحسين بن حمدان عن بغداد فسح المجال للقادة الاتراك ، وعلى رأسهم مؤنس الخادم في الظهور ، وتدخلهم في شؤون الدولة وتوجيهها وفق مصالحهم الخاصة •

إلا أن اعتزاز الحسين بن حمدان بنفسه وبأرومته وبقدراته القتالية ، لم يكن ينصاع لكل الاوامر المركزية التي كانت العناصر الدخيلة تعمل على اصدارها • فتصرف بادارة ولايته ، وصرف شؤونها ، وكأنه غير آبه بسلطة الدولة المركزية ببغداد ، الامر الذي دعا الخليفة الى أن يجهز جيشاً كثيفاً ، فاستطاع أن يأتي بالحسين — رغم أنفه — الى بغداد ، حيث زج في السجن عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م • لكن العناصر الشعوبية المتسلطة ، ظلت تتوجس خيفة من الحسين بن حمدان الى أن لاقى حتفه على يد أعوانها[١٢] •

ومع ذلك فان الخليفة العباسي لم يستطع أن يتخلى عن مساعدة الحمدانيين في مجابهة العناصر الشعوبية الدخيلة التي حاولت أن تثير الاضطرابات في مناطق متعددة من الدولة ، والتي كان الحمدانيون يرقبونها بلباقة وحذر • وفي الوقت ذاته عرفوا مقدار قوتهم ، ومناعتهم ، ومكانتهم ، فلم يتهاونوا بهذه المكانة ، ففرضوا أنفسهم على الدولة •

ويبدو أن الخليفـة العباسي المقتـدر بالله عرف لآل حمـدان أرومتهم واخلاصهم وجهودهم ، فعهد بولاية الموصل من جـديد لأبي الهيجاء عبدالله بن حمدان ، إلا أن أبا الهيجاء فوجىء بتولي أخيه الحسين أعمال ديار ربيعة سنة ٣٠١هـ (وهي جزء من ولاية الموصل حينذاك) • وهكذا جُعل الحسين شـريكاً لأخيه عبدالله في ادارة أمور ولاية الموصـل • وهنا يتسـاءل المتتبع عن دور العناصر الشعوبية التي كانت وراء هـذا التعيين! ألا يجـوز أن العناصر المتسلطة الدخيلة أرادت أن توقع بين الأخوين ، وتثـير الضغائن والاحقاد ، وروح المنافسة فيما بينهما ؟ لعلها تستطيع أن توقد نار فتنة بين أفراد الأسرة الحمدانية •

غير أن الحوادث أظهرت ، أن الفئات الدخيلة المتغلبة ، خاب فألها ، ونت عضدها • ذلك أن ما توقعته من الاصطدام والتنافس، لم يقع أصلاً • وربما شعر الأخوان ما كان يراد بهما شخصيـاً ، وما يبيت لقبيلتهما العربيـة من التمزق والضياع ، ليصفو الجـو للعناصر غير العربية الدخيلة لكي تستأثر بالسلطة وتوجهها الوجهة التي تراها • ومع ذلك كله ، حصل الاتفاق والتفاهم بين الأخوين، حيث وجه الحسين بن حمدان للاعمال العسكرية ، تاركاً لأخيـه أبي الهيجاء بن حمدان الشؤون الادارية في الاقليم(١٣) •

ولما لم يقع ما كان تتوقعـه الفئات المتسـلطة الغريبة مـن الاصطدام بين الأخوين ، أخذت توهم الخلافة بان للحمدانيين نوايا مريبة ، يرمون من ورائها التمهيـد للاستقلال في مناطق الموصـل

وديار ربيعة ومضر والجزيرة الفراتيـة . وعندئذ ضغطت على الخليفة فعزل أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان الذي اعتقد أن الاجراء الذي أتخذ بحقه أملته الظروف العامة السائدة في العاصمة . ولربما جال في ذهنه : بأن هناك من يحقد عليه وعلى قبيلته العربيـة التي كانت العناصر الشعوبية تخشى من ازدياد نفوذها .

ومن المؤكد أن العناصر المتسلطة الغريبة كانت تخشـى أن تفقد مراكزها العليا في الدولة ، ونفوذهـا الواسع ، وامتيازاتها الكثيرة ، في حالة تمكن زعماء قبيلة تغلب العربية من الحصول على ثقة الخليفة واعتماده عليهم . ويخيّل لي أن الخليفة لو كان ممسكاً بناصية الامور بشكل كامـل ، وعليماً بالسياسـة ، لما جعل هذه الفرصة النادرة تفلت من يده ، ولاستطاع أن يفك الطوق المحكم الذي ضربته عليه تلك العناصـر الشـعوبية المستفيدة من ابعـاد الأسرة الحمدانية .

وفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م يقلد الخليفة أبا الهيجاء بن حمـدان طريق خراسان ، وبعدها يسهم في محاربة المتمـرد يوسف بن أبي الساج . حيث حمل أبو الهيجاء مع من معه من جند العرب ، فخرق الصفوف نحو يوسف فضربه وأسره[١٤] . ونظراً للدور البطولي الذي كان قد لعبه أبو الهيجاء في هذه الحرب ، وتمكنه من اخماد تمرد يوسف بن أبي الساج ، خلع الخليفة على أبي الهيجاء ، وقلده الدينور[٥] . كما خلع على أخويه أبي العلاء سعيد ، وأبي السرايا نصر[١٦] .

وأسهم أبو الهيجاء في محاربة القرامطة الذين كانوا يتعرضون لقوافل الحجاج ، ويقلقون أمن الدولة واستقرارها . ونظراً للخدمات الكبيرة التي قام بها في هذا المجال ، حيث أشاع الأمن والاستقرار ، خلع عليه الخليفة مرة أخرى في سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م ، وطوق وسور[١٧] .

وأحسب أن أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان ، كان يحاول أن يثبت له ولقبيلته العربية ، مواقف مستقلة ومميزة عن بقية فرق الجيش ، التي كانت غالبية أفرادها من المرتزقة الأعاجم . لذا حاول جاهداً أن يشعر الخليفة بضرورة الاعتماد عليه ، وعلى بني تغلب ، الذين كان لزاماً عليهم أن يشدوا من أزر الخليفة ويدعموا مواقفه ، علّه يستطيع أن يتخلص من قبضة العناصر التي أصبح أسير أهوائها وأطماعها . غير أن أبا الهيجاء لم يفلح في مسعاه هذا ، فخر صريعاً عام ٣١٧هـ/٩٢٩م ، على أثر الاضطراب الذي حدث آنئذ . فحزن عليه الخليفة كثيراً ، وأخلص الود لأبنائه ، وأقر لابنه ناصر الدولة ما كان لأبيه في ولاية الموصل ، فحمل على العصاة والمتمردين في تلك الديار ، وأعاد هيبة الدولة ونفوذها على مناطق متعددة من شمال الدولة . وتشير الروايات التأريخية أن الخليفة قال لما علم بقتل أبي الهيجاء : « والله ما كان أجدر بسيف في هذه الأيام غيره »[١٨] .

وثمة شخصيات عسكرية وادارية أخرى من بني حمدان لعبت دوراً بارزاً في أحداث العصر . نذكر منهم سعيد بن حمدان الذي

تقلد منصب المعاون في النهـروان وواسط . وانه هب يشـد أزر الخليفة عندما آحاق به خطر إحدى فرق الجيش المشاة الذين كان جلهم من المرتزقه الأعاجم ، حيث أسهم في كسر شوكتهم ، ودفع أذاهـم عن الخليفة والعاصمة بغداد[١٩] .

وعلى الرغم من أن ما بقي من أسـرة بني حمدان قد تركـوا بغداد وأقاموا في ولاية الموصل ، بعيدين عن الصـراع الذي كان يدور أحياناً في العاصمة بين رجال السـلطة . ولكن آثار هـذا الصراع انعكست عليهم بصورة مباشرة ، وأصابهم الضرر منه . فلما ساءت العلاقة بين الخليفة وقائد الجيش مؤنس المظفر عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م قصد الأخير الموصل . وإزاء هذا الموقف استعد الحمدانيون لملاقاة جيش مؤنس ، وحشدوا جيوشهم[٢٠] . ولعلهم أرادوا أن يبرهنوا للخليفة العباسي على حسن نيتهم واخلاصهم له ، متناسين ما أصاب بعض أفراد أسرتهم من الاضرار البليغة .

ولا بد أن دار في خلد بني حمدان ، أن أمامهم الآن فرصـة ذهبية ، قد لا تواتيهم مرة أخرى ، تلك هي التخلص من التسلط التركي ، المتمثل بالقائد مؤنس ، وتخليص الخلافـة من قبضتهم ، لتتبوأ قبيلة تغلب العربية مركز الصدارة في تسيير أمور الدولـة ، معتقدين أن الخليفة كان قد استنزف كل امكاناته في مداراتهـم ، والسير وفق هواهم . ومن المؤكد أنه ليس في مقدور الحمدانيين اتخاذ غير الموقف الذي وقفوه وهو القاضي بمؤازرة الخليفـة ضد قائده الشاق عصا الطاعة[٢١] .

وفي أواخر خلافة المقتدر بالله ، وخلال خلافتي القاهر بالله والراضي ، ظهر بشكل واضح سلطان المتغلبين الشعوبيين وأحقادهم وبخاصة في أطراف الدولة العربية وثغورها . وكان طبيعياً أن يثير هذا الأمر حفيظة آل حمدان الذين كانوا حينذاك متمركزين في ولاية الموصل التي كان بيت مال الدولة المركزي يعول كثيراً على ما كان يرده من موارد من هذه الولاية .

غير أن العناصر الدخيلة التي استطاعت أن تحيط بدار الخلافة ببغداد ، حاولت أن تدق أسفينا بين الخليفة العباسي الراضي وبين آل حمدان الذين كان يتزعمهم آنذاك ناصر الدولة ، الذي اتصف بالشجاعة وشدة المراس ، والذي أفشل محاولات أعدائه الذين سدوا على احداث فجوة بين أفراد الأسرة الحمدانية . فأغاظ ذلك العناصر المناوئة ، التي عمدت الى خطة جديدة ، حيث سيرت الى آل حمدان بالموصل جيشاً كثيفاً قاده الوزير محمد بن مقلة . وعلى الرغم من أن هذا الجيش استطاع دخول مدينة الموصل ، إلا أن أصحاب ناصر الدولة الحمداني ومؤيدوه استطاعوا أن يوهموا الوزير بأن هناك مؤامرة تدبر له في الخفاء بغية قتله ، فقفل راجعاً الى بغداد ، وجازت عليه الحيلة ، فعاد نفوذ آل حمدان الى ولاية الموصل من جديد(٢٢) .

وإبان تقلد محمد بن رائق إمرة الامراء ببغداد ساءت الأمور الى درجة متدنية ؛ إذ أمسك ابن رائق بصلاحيات كثيرة ، فانتفخت أوداجه ازاء هذه السلطة الواسعة . لكن هذا المتغلب الدخيل لم

ينعم بنفوذه طويلاً إذ سرعان ما ظهر متنفذ آخر دخيل هو «بجكم» التركي الذي استطاع أن يغتصب منصب إمرة الامراء من ابن رائق ويرغمه على الانزواء والتواري عن الانظار الى حين[٢٣] .

٣ـ الحمدانيون ومنصب إمرة الأمراء :

وأذعن الخليفة الراضي مرغماً لهذا المتغلب الجديد ، الذي حاول تطويع آل حمدان في سنة ٣٢٧هـ/ وانهاء نفوذهم في ولاية الموصل وديار ربيعة ومضر والجزيرة الفراتية . إلا أنه من حسن طالع الحمدانيين أن محمد بن رائق استغل توجه الخليفة و «بجكم» نحو الموصل ، فأعلن تمرده في بغداد ، مما اضطر بجكم الى العودة الى حاضرة الخلافة مسرعاً ، وعندئذ تنفس آل حمدان الصعداء فأحكموا سيطرتهم على ولاية الموصل من جديد[٢٤] .

ويبدو أن الخليفة المتقي لله أدرك أهمية الأسرة الحمدانية ومكانتها ، فعمل منذ بداية اعتلائه دست الحكم على توثيق صلاته مع آل حمدان . وزادت الصلات وثوقاً حصول المصاهرة بين الأسرتين ، إذ تزوج اسحق ابن الخليفة المتقي لله بنت ناصر الدولة الحمداني . وعندئذ عادت للحمدانيين صولتهم وعظم سلطانهم ، وأخذ نفوذهم يتغلغل في جميع مرافق الدولة ، لا سيما الحيوية منها ، من دون أن تزعزعه عواصف ودسائس العناصر الدخيلة[٢٥] .

وإبان ظهور أطماع أبي عبدالله البريدي سولت له نفسه الاستيلاء على بغداد ، استنجد الخليفة المتقي لله بناصر الدولة

الحمداني الذي أرسل اليه أخـاه علياً (سيف الدولة) على رأس جيش كبير ، لم يكد يصل به الى مدينة تكريت حتى التقى بالخليفة ومحمد بن رائـق ، فرجع معهما الى الموصل • وبموجب اتفـاق حصل بين الأمير الحمداني ناصر الدولة والخليفة المتقي للـه تـم التخلص نهـائياً من قائد الجيش (أمير الأمراء) محمـد بن رائق التركي ، وعندئذ ارتفعت مكانة ناصر الدولة الحمداني ، فخلـع عليه الخليفة لقب « أمير الأمراء » • وخلع على أخيه علي ولقّبه سيف الدولة ، وذلك في مستهل شعبان سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م(٢٦) •

ازاء التخلص من محمـد بن رائق ، تعـزز موقع الأسـرة الحمدانية ، وازدادت أهميتها ، واتضحت مكانتها ، وأصبح أحـد افرادها يشغل منصب « إمرة الأمراء » الذي يأتي بعد الخليفة من حيث الأهمية السياسية والعسكرية • وفي هذه الحال توجه الخليفة المتقي لله الى بغداد يرافقه ناصر الدولة ، وسيف الدولة ، ومعهم جيش كثيف • وعنـد اقترابهم من بغـداد نزح عنها أبو عبدالله البريدي واتجه نحو واسط حيث لاحقه القائد سيف الدولة هناك، ودارت بين الطرفين معارك دامية ، اضطر البريدي بسببها أن يهرب جنوبـا أمام ضربات الجيش الحمداني الذي فتك بالبريديين فتكاً ذريعاً(٢٧) •

وتشير الروايات التاريخية ، أنه لما أصبح الحسن بن عبدالله الحمداني أميراً للأمراء ، ولقب ناصر الدولة عام ٣٣٠هـ/٩٤١م ، صار معنياً بأمور النقود ، وتشدد في مراقبة عيارها ، وجرت بينه

وبين الصرافين ببغداد خطوب كثيرة ، في عيار الدنانير ، وبعدئذ اتخذ عياراً كالعيار الذي كان مستعملا إبان خلافة هارون الرشيد ، « وزاد في سكة الدينار — عند ذكره محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم »[٢٨] . وفي السنة الثانية نظر أمير الأمراء ناصر الدولة في النقد . وأمر بتصفية الذهب والفضة من شوائبهما ، واتخذ عياراً على غرار عيار السندي بن شاهك ، فضرب الدنانير «الابريزية» التي بيع الدينار الواحد منها بثلاثة عشر درهماً بعد أن كان يباع بعشرة دراهم[٢٩] . وكانت هذه الزيادة عند(الصولي، الاوراق ، ص٢٣١) أجل منقبة لآل حمدان تفرد بها الأمير ناصر الدولة .

وشاء الظروف أن يتخلى الأمير الحمداني ناصر الدولة عن منصب إمرة الأمراء في بغداد ، ويقفل راجعاً الى الموصل . وفي الوقت نفسه يتم اختيار (توزون) التركي لامرة الأمراء ، الذي سرعان ما ظهرت طموحاته الغريبة . وحينئذ أصبح لا مناص أمام الخليفة إلا أن يلتجيء الى الموصل مستعيناً بالحمدانيين ، الذين رعوه أحسن رعاية ، وصدوا عنه عسف الديلم والترك وبقية العناصر الدخيلة المتسلطة على مقاليد الأمور في حاضرة الخلافة[٣٠] .

لكن توزون لحق بالخليفة المتقي لله محاولا ارجاعه الى بغداد ، فتصدى له القائد سيف الدولة الحمداني ، وتغلب عليه في عدة معارك ، أو كاد . ولكن كثرة الضحايا من الطرفين الجأتهما الى قبول وساطات الصلح بين ناصر الدولة وتوزون ،

وعندئذ عاد توزون الى بغداد ، في حين آثر الخليفة المتقي لله البقاء في الموصل • لكنه بعد حين راوده الحنين الى حاضرة الخلافة العباسية ، فطلب من توزون الأمان ، فأمنه ، وأقسم له بأغلظ الأيمان ، ألا يغدر به ، وأن يكون في خدمته • لكن سيف الدولة كان قد حذر الخليفة من مغبة الانخداع بأقوال توزون ، لانه كان على اطلاع واسع بغدر ومكر الاتراك والديلم ودسائسهما •

غير أن الخليفة المتقي لله لم يصغ لتحذيرات سيف الدولة ، فانحدر الى بغداد • وعلى الرغم من أن توزون استقبله بكثير من الاحترام ، حتى قبل الارض بين يديه • ولكن ما هي إلا أيام حتى دبر له مكيدة ، انتهت بسمل عينيه ، وخلعه من الخلافة ، على أثر مؤامرة لعب فيها الكيد والدس الدنيء دوراً مؤثراً • وبعد برهة قصيرة دخلت الخلافة العباسية تحت سلطة آل بويه المتغلبين ،الذين لعبوا دوراً سيئاً في مصير الدولة ، وما آلت اليه مؤسساتها من التدني والتفكك والانهيار ، نتيجة للسياسة الخرقاء التي اتبعها هؤلاء الطامعون الغرباء(٣١) •

شهد بطلنا سيف الدولة الحمداني هذه المآسي ، فاربد وجهه واضطرب ، وأحس بالمهانة التي تحز في كيان الدولة العربية الاسلامية ، فامتلأ صدره غيظاً على طغمة الاغراب المرتزقين،الذين كانوا السبب في تفكك أواصر الدولة العربية الاسلامية المترامية الأطراف ، واقتطاع بعض أطرافها • فعزم على أن يعيد للدولة العربية سابق مجدها ، وأن يرفع للعروبة رايتها الخافقة •

هوامش المقدمة والفصل الأول

(١) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ، ص٢٤ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ص١٤٦-١٤٧ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج٣/قسم١ ، ص١٦ .

(٢) بافوت ، معجم البلدان ، ٤/٢٨ و٣/١٣٠ و٥/١٠٧ و٥/١٩٢ و٢/٢٦٥ و٣/٢٥٨ .

(٣) اليعقوبي ، مشاكل الناس لزمانهم ، ص ص٢٤-٢٦ .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٤٥ .

(٥) ابو يوسف ، الخراج .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١٠ ، ص ص٣٧-٣٨ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٨١ . الكيالي ، سيف الدولة ، ص٣٦ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١١١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج١٠ ، ص١٤٠ ، مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٨٠ .

(١٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٨٢ .

(١١) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص١٣٣ .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ص٥٦-٥٧ . مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص ص٣٧-٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ص١٥٠-١٥١ .

(١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص١٢١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١ ، ص١٢٠ .

(١٤) ابن خالويه ، ديوان أبي فراس ، جـ٢ ، ص١٣١ .

(١٥) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٣٨٠ . عريب ، الصلة ، ص٧٧ .

(١٦) الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ص٢٢ . مسكويه ، تجارب الأمم جـ١ ص٧٥ .

(١٧) الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ص٣٠ .

(١٨) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، ص٧٩٨ .

(١٩) عريب ، الصلة ، ص١٥١ .

(٢٠) ن٠م ، ص١٦٩ .

(٢١) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٢٠ .

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٤٩ .

(٢٣) ن٠م ، ص ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ص٢٩٥-٢٩٦ .

(٢٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٣٠ . الكيالي ، سيف الدولة ص٤٤ .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٨٣ . الكيالي ، سيف الدولة ص٤٤ .

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٢٨) الصولي ، الاوراق ، ص٢٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٣٠ .

(٢٩) مسكويه ، تجارب الأمم ، جـ٢ ، ص٣١ . الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ص١٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٣٠ .

(٣٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٣٨ .

(٣١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص‌ص٣١٤–٣١٥ .

الفصل الثاني

القائد سيف الدولة الحمداني

١ـ ولادة سيف الدولة ونشاته :

ولد الأمير علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان التغلبي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م ، من أسرة آل حمدان ، في مدينة ميافارقين، أو مدينة الشهداء ، وهي أشهر مدن ديار بكر . وتشاء الأقدار أن تقرن ولادة بطلنا سيف الدولة بتسنم أبيه عبدالله بن حمدان امارة الموصل ، والذي لقب لفرط شجاعته بـ (أبي الهيجاء) . وقد رعاه أبوه رعاية خاصة[١] .

ومنذ نعومة أظفار سيف الدولة توسم به أبوه ، ذكاءً حاداً ، لهذا وضعه بين أيدي حكماء الموصل وعلمائها العظماء ، الذين لقنوه العلوم والآداب التي كانت تدرس من قبل العلماء حينذاك . لكن لوحظ عليه أنه كان يهز قلبه الأدب والشعر أكثر من بقية صنوف المعرفة الأخرى .

كما علا سيف الدولة ميل واضح الى القنص وركوب الخيل والرمي . كما علمه قومه أصول الفروسية وخوض المعارك لكي يدافع عن وطنه وأمته ، ويكتسب أمجاداً جديدة تضاف الى

أمجادهم • فلم يكد يبلغ عامه العشرين حتى خاض غمار معـارك طاحنة ضد المتمردين على الدولة العباسية في منطقة « رأس العين » فانتصر عليهم وأخمد تمردهم • فيقول في حقه الشاعر المتنبي[٢] :

وإذا امتحنت تكشفت عزماته ... عن أوحدي النقض والابهـام

وإذا سـألت بنانه عن نيلـه ... لم يرض بالدنيا قضـاء ذمـام

مهلاً ألا للـه ما صنـع القنا ... في عمرو خاب وضبة الأغنـام

لمـا تحكمت الأسـنة فيهم ... جارت وهن يجرن في الاحكام

فتركتهم خلل البيوت كأنما ... غضبت رؤوسهم على الأجسـام

عاش الأمير علي بن أبي الهيجاء وترعرع بين الموصل ونصيبين وميافارقين، مسقط رأسه ، ثم يوليه أخوه إمرة نصيبين فيظهر مقدرة ادارية عالية • ذلك أن بطلنا سيف الدولة ، تفحص الظروف المحيطة بالدولة تفحص خبير مستقص ، فتلمس ظهور أنماط غريبة ومختلفة من متغلبي الاعاجم الذين كانوا السبب المباشـر لضعف الدولـة العربية الاسلامية واقتطاع بعض أجزائها • لذلك عمل جاهداً على أن يبعد عن هذه الدولة لوثات الاعاجم ، ودسائس المتغلبين •

وإبان اصحابه لأخيه (ناصر الدولة) بعض حملاته العسكرية ، ذاع صيته في الموصل وأطراف الجزيرة الفراتية ، لما أظهـره مـن شجاعة نادرة ، واقدام عظيم ، وصبر على المكاره • حيث أبلـى بلاء حسناً في خوض المعارك •

٢ـ انتصارات سيف الدولة على البريديين :

يخوض الامير الحمداني علي بن أبي الهيجاء معارك جديدة في وسط العراق • ففي سنة ٣٣٠هـ/٩٤٢م دخل البريديون عنوة العاصمة بغداد ، فاضطر الخليفة المتقي لله الى اللجوء الى ولاية الموصل ينشد معونة الحمدانيين ، الذين هبوا لنجدة الخليفة العباسي بجيش كبير ، معقود لواؤه على بطلنا الشاب علي بن أبي الهيجاء بن حمدان ، المقيم حينذاك في مدينة نصيبين • فينطلق الأمير الحمداني ميمماً وجهه شطر بغداد وبمعيته الخليفة العباسي•

وما كادت طلائع هذا الجيش تقترب من بغداد ، حتى فر البريديون جنوباً ، فتعقبهم القائد الحمداني علي بن أبي الهيجاء حيث أدركهم عند المدائن ، فألحق بهم هزيمة نكراء ، وسحق جيشهم ، وأسر عدداً كبيراً من قوادهم وجنودهم • وبذلك أبعد خطرهم عن بغداد ومؤسسة الخلافة[٣] •

وازاء هذا النصر المؤزر ، أنعم الخليفة على القائد العربي علي بن أبي الهيجاء بن حمدان بلقب سيف الدولة ، كما أنعم على أخيه الحسن بلقب ناصر الدولة ، وطوقا وسورا ، بطوقين طوقين ، وأربعة أسورة ذهباً • كما أمر الخليفة العباسي أن تكتب أسماؤهما على الدنانير والدراهم[٤] •

ومنذ ذلك الوقت بدأ نجم سيف الدولة الحمداني يصعد ، وأسهمه تعلو ، نتيجة لهذا الانتصار الكبير ، الذي قابله الناس بالرضا والدعاء في المساجد والطرقات •

وإزاء هذه المواقف البطولية كتب الخليفة للقائد سيف الدولة أكثر من رسالة كلها تمجيد وتعظيم . قال في أحدها : « بسم الله الرحمن الرحيم ... عرفت — لا أخلاني الله منك — ما تقرر عليه العزم في رواحك ؛ قرنه الله بالخيرة التامة ، والمعونة الشاملة ، والكفاية الجامعة ، ووصله بالنصر والفلح والظفر والفتح، فتعجلت الاستيحاش لبعدك ، والتحسر لما يفوت من قربك — لا خلوت منك — وكنت أحب أن ألقاك وأسر برؤيتك قبل نفوذك (أي خروجك الى القتال) ، ولما تعذر ذلك دعوت الله لك بجميل الصحابة ، وولي عليك بحسن الخلافة ، وأن يسعدنا بذلك سعادة محمود البدء والعاقبة ، وإنه سميع الدعاء ، لطيف لما يشاء . وما زال قلبي متطلعاً لمعرفة خبرك الى أن يرد عليّ من مستقرك بما تريه وتمضيه ، وتدبره وتمشيه ، فتعمل — لا أخلاني الله منك — على ملاحظتي عن ذلك في كل وقت وساعة ، بما تعلم حسن موقعه مني .. والسلام »(٥) .

والتعمق في مدلول هذه الرسالة يظهر لنا المكانة العالية والأثيرة التي صار يتبوؤها بطلنا سيف الدولة الحمداني ، كما برز في الوقت نفسه الآمال العظام المعقودة عليه . فالرسالة تعدّ وساماً كبيراً من خليفة المسلمين خص بها الأمير الحمداني سيف الدولة ، الذي أصبح حامي حمى حياض الخلافة . وهو والحالة هذه لا بد له أن يتابع انتصاراته ، وأن يمضي قدماً في مطاردة أعداء الخلافة والأمة .

إن هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها سيف الدولة ، والمكانة المرموقة التي حظي بها من لدن خليفة المسلمين ، أثارت حساده ، وبخاصة القادة العسكريين الموجودين في صفوف الجيش . ذلك أن العناصر الدخيلة هالها المنزلة الكبيرة ، والتألق المرموق ، والمكانة العالية التي تبوأها هذا القائد العربي ، فأخذوا يتآمرون عليه ، ويضعون أمامه العراقيل والمعوقات ، مدفوعين بحقدهم الشعوبي الدفين . فحالوا بينه وبين خوضه المعركة الكبرى التي هيأ لها كل مستلزمات نجاحها ، بحذق ومهارة فائقتين(٦) .

وإزاء ذلك اكتفى الأمير الحمداني بهزيمة البريديين عند مدينة واسط ، وقفل راجعاً الى ولاية الموصل . ومهما يكن فان هذه المواقف عدّها بطلنا القائد سيف الدولة تجربة أخرى تضاف الى تجاربه السابقة لكي تدفع به الى أمر جليل الخطورة في تأريخ العرب والمسلمين .

وبلا ريب ، فان ما أظهره سيف الدولة من بطولات في عاصمة الخلافة ، وما حققه من انتصار على البريديين ، جعلته يعود الى نصيبين حاملاً على كاهله ألواناً من المجد ، والبطولة ، والشهرة . كما دفعته لأن يفكر في مستقبله ، وما يليق بكفاءته الحربية من امارة لائقة ، وحكم ثابت .

٣ـ معارك سيف الدولة في جبهة البيزنطيين :

استطاع القائد سيف الدولة بفروسيته النادرة ، واقدامه ، وخماسته ، وشجاعته أن يحفظ ثغور بلاد الشام والجزيرة الفراتية

كلها ، ويبقيها محتفظة بخصائص المدن العربية الاسلامية حية من دون أن تعود لتذوب من جديد تحت حكم البيزنطيين .

إذ قرر سيف الدولة أن يتولى الدفاع بنفسه عن اقليم الثغور بوحدات من جيشه ، ويقف سداً منيعاً دون هجمات جيوش الروم البيزنطيين الذين ظلوا يتطلعون الى هذا الاقليم الذي انضوى تحت لواء الدولة العربية الاسلامية منذ عصر الراشدين .

وكان البيزنطيون في غصة لزوال نفوذهم عن هذه الثغور ذات الطبيعة السوقية الكبيرة . لذلك لم يتركوا فرصة من دون أن يهاجموا الثغور العربية الاسلامية ، محاولين انتزاعها . وكانوا يستغلون الحقب التي كان يثار خلالها الاقتتال بين الخلفاء والمتغلبين الدخلاء . كل ذلك دفع سيف الدولة الحمداني أن يقف بجيشه ليصد هجمات الروم البيزنطيين .

إن ظهور القائد سيف الدولة الحمداني على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري، غيّر مجرى العلاقات بين العرب المسلمين وبين البيزنطيين . فتصدى العرب بقيادته للاطماع البيزنطية التي وجدت في هذا القائد العربي خصماً عنيداً صعب المراس ، ألحق بهم كثيراً من الهزائم ،واستطاع أن يحافظ على حدود الدولة العربية الاسلامية ، بل وأن يتوغل داخل حدود البيزنطيين(٧) .

لقد امتلك القائد سيف الدولة الحمداني نفساً وثابة تنزع الى المجد والسؤدد ، فأخذ على عاتقه مقارعة الروم البيزنطيين

بصوره منتظمة ، فقام بواجبه القومي والديني ، وحمى الثغـــور ، وداد عن الحـــدود ، وتصدى للهجمات البيزنطيـــة خير ما يكون التصدي ، وقام بالمهمة كأحسن ما يكون القيام ، ودرأ عن الخلافة خطر التوسع البيزنطي في وقت كان الخلفاء العباســيون يرزحون تحت نير التسلط البويهي الاجنبي .

٤ـ إمكانات القوات البيزنطية المهاجمة :

لكي نستطيع أن ندرك طبيعة وقوة التحدي البيزنطي، الذي تولى القائد سيف الدولة التصدي له ، لا بد أن نلقي نظرة سريعة على تشكيلات الجيش البيزنطي ، الذي وصفته الرواياتالتأريخية بأنه كان قوياً منظماً . وقد وضع في عداد أحسن الجيوش فيالعصر الوسيط . إذ وصل تعداده في بعض الاحيان الى أكثر من مائـــة وعشرين ألف جندي . منهم حوالي سبعون ألفاً وضعوا في آسيا الصغرى على الجبهة العربية ، في مقابلة الجيش الحمداني ، بعضهم فرسان ، والبعض الآخر مشاة ، ينقسمون على فرق خفيفةالسلاح، وفرق ثقيلة السلاح . وكان سلاح الفارس سيفاً عريضاً وخنجراً ورمحاً وقوساً للرماية عن ظهور الخيل ، وجعبة للسهام . في حـــين كان الجنود المشاة يلبسون دروعاً من الزرد تغطي أنصافهم العليا، وخوذاً فولاذية . وكانت أسلحتهم السيف والرمح ، وفأساً ذانصل قاطع من ناحية ،وسن مدببة من الناحية الاخرى . كما زود بعضهم بالأقواس والسهام ، معجعبة السهام فيها أربعون سهماً ، وفأساً في حزامه ، ويعلق ترساً صغيراً مستديراً[٨] .

وكانت لدى الجيش البيزنطي فضلاً عن الاسلحة التقليدية المعروفة ، الدبابات ، والاساطيل ، والنار الاغريقية • كما أُلحق بالجيش البيزنطي مهندسون ، كانت مهمتهم تذليل العقبات الطبيعية التي ربما تعترض تقدم الجيش أثناء زحفه[٩] •

واستخدم البيزنطيون وسائل دفاعية متقنة ، فعرفوا الاشارات النارية التي توقد على قمم الجبال والتلال لتوصل أنباء تحركات الجيوش العربية ، من جبال طوروس حتى القسطنطينية • كما استخدموا فرق المشاة الاستطلاعية والجواسيس الذين كانوا يتغلغلون بين صفوف العرب المسلمين •

ومما عزز مكانة الجيش البيزنطي أن الأباطرة أنفسهم كانوا قواداً قديرين ، وكثيراً ما نجدهم في مقدمة جيوشهم • فقد كان « يوحنا كركواس » ، الذي أحرز انتصارات في الجزيرة الفراتية ، بعد هزائم في أرمينية الاسلامية ، والذي استولى على مدينة ملطية في سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م ، ألمع قواد البيزنطيين في هذا العهد • على حين كان سيف الدولة ، أمير بني حمدان ، ألمع قواد الجيش العربي حينذاك •

٥ــ كفاءة جيش سيف الدولة :

ولأجل أن يصد القائد العربي سيف الدولة ، هجمات الجيش البيزنطي ، ويحول دون تمكنه اجتياز حدود الدولة العربية ، وتحقيق أطماعه المستمرة في الاراضي العربية ، تطلب الأمر من سيف الدولة أن يعد جيشاً ضخماً • لذلك وجه همه الى توفير المال

اللازم ، واعداد الرجال الذين وجدهم في القبائل العربية الضاربة في شمال العراق والجزيرة الفراتية ، وشمال بلاد الشام[١٠] . فضلاً عن رجال حاشيته وغلمانه الذين رباهم تربية عسكرية صارمة . كما أنه استطاع أن يقنع جنوده بأنهم يؤدون فريضة الجهاد ـ التي هي فرض كفاية ـ بقتالهم الروم البيزنطيين[١١] .

وفي كل الأحوال شكل العرب الاغلبية الساحقة في جيش الأمير الحمداني سيف الدولة ، الذي اشتهر جنده بشدة البأس ومصابرة الخطوب ، ورمي أنفسهم على العدو الذي كان يصاب بالفزع أمام هجمات « كتائب القفز » التي ابتكرها القائد العربي سيف الدولة ، الذي كان يجابه الكثير ، بالعدد اليسير ، حتى أن القائد البيزنطي « نقفور » اضطر لان يُعد لكل رجل من عسكر سيف الدولة ، عشرة رجال من البيزنطيين ، آخذاً بالاحتياط[١٢] .

وقد اعترف بعض المؤرخين الغربيين بأن الجيش الحمداني ، الذي كان يقوده سيف الدولة ، كان ذا خطط حربية متقنة ، وفن في المناورات دقيق . وكان الجند يخضعون لانضباط عسكري صارم ، وهم أشداء ، يستميتون في القتال ، ويحافظون على النصر . وإذا ما احتلوا موقعاً تشبثوا به ، كان من العسير استرداده من أيديهم[١٣] .

لقد برز دور القائد سيف الدولة للتحدي البيزنطي منذ عام ٣٢٤هـ/٩٣٨م ، حين كان عمره حينذاك لم يناهز الحادية والعشرين سنة ، حيث ملك ديار مضر عند انصراف بدر الخرشني عنها[١٤] .

وحينئذ عمل تحت إمرة أخيه ناصرالدولة في الجزيرة الفراتية•وقام بقيادة جيش كبير مكتسحاً السهول ، ومقتحماً القلاع البيزنطيه ، فهزم ضابط البلاط (الدمستق نيسفور فوكاس) في نواحي آمـد وسميساط ، وعاد الى ارزن وميافارقين ونظر في مصالح أهلها ، وأعاد بناء ما هدم من سورها[١٥] •

وتُعد سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م سنه موفقة للقائد سيف الدولة ، توالت فيها انتصاراته • فقد استولى على مدينة ووش ــ جنوب مراد صو رافد الفرات ــ ، وحصون وقلاع بيزنطية أخرى • ووطىء مواطىء لم يطأها أحد من قادة العرب المسلمين قبله ، الى حد أن ملك الروم البيزنطيين تملكه الغضب ، وصار يتوعد ويطلق تهديدانه • فرد عليه سيف الدولة بأن سار الى مدينة قلونية في آسيا الصغرى ، فاستولى عليها وعلى ما جاورها من ضياع•ففزع البيزنطيون ، وسيروا جيشاً لايقاف زحف الجيش العربي ، إلاّ أن جيشهم لاقى هزيمة منكرة جديدة[١٦] •

وتجددت هجمات الروم البيزنطيين إبان الفترة (٣٣٠ــ٣٣٣هـ) حين انشغل القائد سيف الدولة بدرء خطر العناصر الدخيلة التي حاولت أن تستأثر بالسلطة ، وتفرض سيطرتها على حاضرة الخلافة[١٧] ، فانبرى البطل سيف الدولة ليذود عن حاضرة العروبة والاسلام أذى تلك العناصر الغريبة المتسلطة ، فيخوض معارك طاحنة ، ويصاب خلالها بجراح بليغة ، تكاد تعيقه عن مواصلة جهاده البطولي • ولكن بطلنا سرعان ما ينهض مسرعاً الى سوح

المعارك بعد شفاء جراحه ، ليسهم من جديد في طرد المتغلبين الأجانب عن مدينة واسط وأجزاء أخرى من جنوب العراق[١٨] . هذا فضلا عن انشغاله بالصراع مع الأخشيديين[١٩] . مما أتاح للبيزنطيين أن يحرزوا عدة انتصارات على المسلمين الذين بددوا قواهم في النزاع الداخلي ، حيث توغل جيش الروم البيزنطيين داخل حدود الدولة العربيه الاسلامية[٢٠] . وقد أدت هذه الظروف الى اقتراب البيزنطيين من مدينه حلب ، فنهبوها وسبوا نحو خمسة عشر ألف نسمه[٢١] .

وفي سنه ٣٣١هـ/٩٤٢م اجتاز البيزنطيون ديار بكر وميافارقين، وسبوا من أهلها الكثيرين ، وأصبحوا على مقربة من نصيبين، فارتفع شأن (كركواس) في أعين البيزنطيين بسبب هذه الانتصارات وبخاصة حين استرجع منديل السيد المسيح مقابل اطلاق سراح الأسرى المسلمين من أهل الرها[٢٢] .



هوامش الفصل الثاني

(١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٧ ، ص‌ص٢٤ـ٢٥ .

(٢) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص٤٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٨٥ .

(٤) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص٢٦ و٢٨ .

(٥) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص٤٩ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص‌ص٢٩٠ـ٢٩١ .

(٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٨٠ .

(٨) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٢٩ .

(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٩ . السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٢٩ .

(١٠) منل بني عقيل ، ونمير ، وكلاب .

(١١) السامر ، الدولة الحمدانية جـ٢ ، ص١٣٠ .

(١٢) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٣٠ .

(١٣) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٣٢ .

(١٤) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، القسم الاول ، ص٣٤ .

(١٥) ن.م ، ص‌ص٣٠٠ـ٣٠١ .

(١٦) السامر ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٥٦ .

(١٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص‌ص٢٨٤ـ٢٨٥ .

(١٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٨٥ .

(١٩) ن.م ، ص٣١٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥١ .

(٢٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٣٠ .

(٢١) ابن الاثير ، الكامـــل ، جـ٦ ، ص٢٨٨ . الـــذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٤٩ .

(٢٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص‌ص٣٣٠-٣٣١ .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٢٩٤ و٢٩٩-٣٠٠ .

الفصل الثالث

القائد سيف الدولة يتولى إمارة حلب والثغور

١ـ الأمير سيف الدولة يبدأ مرحلة جديدة :

بعد عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م استقر القائد سيف الدولة الحمداني بمدينة حلب[١] ، بناء على استدعائه من قبل أهلها الذين سمعوا ببطولته ، وشجاعته ،وحماسته واقدامه وفروسيته النادرة . فكاشف أخاه ناصر الدولة الذي أمده بألف مقاتل ، كان قد تحمل تكاليفهم ، إذ وزع بينهم أرزاقهم ونفقاتهم وأعطياتهم ومايحتاجون اليه من دواب وبغال وخيول ، ومعهم خمسون ألف دينار للأمير سيف الدولة يدبر بها أموره[٢] .

غادر الأمير سيف الدولة ديار بكر وميافارقين ، وقاد جيشه وسار الى حلب . وكانت تراوده آمال عظام ، فعمل على تحقيقها بكل ما أوتي من امكانات . وبذلك يكون بطلنا الأمير سيف الدولة الحمداني قد بدأ مرحلة جديدة من حياته ، فأعلن امارته على منطقة حلب والجزيرة الفراتية واقليم الثغور والعواصم ، دون ضجة . وعندئذ دخلت علاقات الحمدانيين بعامة ، والامير سيف الدولة بخاصة ، مع البيزنطيين دوراً جديداً . ذلك أن الامير الحمداني لم

تشغله كثيراً نيران المنازعات الداخلية ، فوجه اهتمامه الكلي الى حرب الروم البيزنطيين الذين أحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، فألحق بهم سيف الدولة ضربات موجعة . وتوج أول غزوة من غزواته بالنصر ، ورد عن ديار العروبة الغائلة الاجنبية ، وعاد منتصراً ، فكان نصره وفوزه من أهم العوامل التي زادت في بسط نفوذه المعنوي ، وتركيز هيبته ، وادخال الرعب في قلوب خصومه[٣] .

٢ـ مشاغلة الاخشيديين :

لقد عزّ على الأخشيديين أن يحرز هذا الفارس العربي (سيف الدولة) ، كل تلك الانتصارات الباهرة على الروم البيزنطيين . ويثبت أقدامه في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، ليدرأ عنها ، وعن ديار العروبة والاسلام أطماع الطامعين . ويبدو أن الأخشيديين أفزعتهم مقدرة وشجاعة الامير سيف الدولة ،فتحركت جيوشهم تحت قيادة (كافور ، ويأنس المؤنسي) . وتشير الروايات التأريخية بوضوح الى أن بطلنا الأمير سيف الدولة الحمداني ما كان ليريد هذه الحرب مع الاخشيديين الذين يرتبطون معه برباط الاسلام الوثيق . ذلك أن سيف الدولة كان تواقاً لأن تتآزر ، وتتضافر جيوشه مع جيش الاخشيديين مجتمعة تحت لوائه ليصد بها الغزو الاجنبي البيزنطي الذي كان يهدد الجميع بلا استثناء .

غير أن الاخشيديين تحركوا مدفوعين بمصالحهم الضيقة كغرباء . لذا أصبح لا بد لسيف الدولة من لقائهم ، فسار نحو

حمص ــ حيث كانوا قد تجمعوا هناك ــ فاشتبك معهم ، وألحق بهم هزيمة منكرة . وتأبى فروسيته أن يعاملهم كأعداء تقليديين ، إذ سرعان ما أمر باطلاق أسراهم ، وأكرم مثوى بعضهم[٤] .

وإزاء ذلك ، رأى الامير سيف الدولة أن يتابع سيره نحو مدينة دمشق ليستأصل شأفة الاخشيديين الذين أتعبوه في بدء تأسيس امارته ، بعد أن كان يأمل أن يكونوا عونه في الدفاع عن حوزة الوطن من هجمات الاعداء الحقيقيين ، فجهز سيف الدولة جيشاً من خمسين ألف مقاتل ، حيث استنهض همم القبائل العربية، فجمع عدداً من بني عقيل ، وبني نمير ، وبني كلب ، وبني كلاب، وسار بهم الى أرض فلسطين ، حيث التقى بجيش الاخشيدي قرب نابلس ، فاشتبك معه بقتال مرير . إلا أن سيف الدولة لم يوفق هذه المرة . ذلك أن جيش الاخشيديين الكثيف وقف أمامه ، واستطاع أن يوقف تقدمه ، ومن ثم تراجع نحو مدينة الرقة .

غير أن كافور الأخشيدي أيقن أن القائد سيف الدولة لن يصبر على ضيم ، فمدّ له يد الصلح ، واتفقا على أن تكون مدن حلب وانطاكية وحمص وتوابعها ، والجزيرة الفراتية لسيف الدولة في حين تكون مدينة دمشق للأخشيدي كافور ، على أن يدفع عنها للأمير سيف الدولة مبلغاً سنوياً محدداً . وهذا اعتراف ضمني بأن دمشق يجب أن تضم الى إمارة سيف الدولة الحمداني[٥] .

ويبدو أن المال وكثرته لم يكن مطمح الأمير سيف الدولة ،بل كانت أمانيه تستهدف أن يعيد الى الدولة العربية الاسلامية

المتفككة الاوصال ، كيانها المفقود ، ومجدها الذي بات يقترب من الأفول • لكن يبدو أن آماله العريضة هذه كانت فوق امكانات البطل العربي الشاب وقدراته المحدودة • لذا لم يستطع أن يحققها، فآثر أن يدفعها ولو الى حين •

٣ـ مواصلة التصدي للبيزنطيين :

في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م ، أعاد الروم البيزنطيون الكرة، فهاجموا الثغور العربية الاسلامية ، فسبوا وأسروا • وعلى الرغم من أن الامير سيف الدولة تعقبهم ، إلا أنهم استولوا على مرعش، وفتكوا بأهل طرطوس[٦] • علماً أن القائد سيف الدولة كان قبل فترة زمنية قصيرة قد عقد هدنة مع الروم البيزنطيين ، وتبادل معهم الأسرى ، حيث كان يمثله في هذا الفداء نصر الثملي ، قائده في منطقة الثغور • وكان عدد الاسرى ألفين وأربعمائة وثمانين أسيراً ، بين رجل وامرأة • وكان عدد الاسرى المسلمين الذين سبق أن وقعوا في قبضة البيزنطيين أكثر من مائتين وثلاثين أسيراً ، فداهم سيف الدولة بالمال ، وفك أسرهم[٧] •

وجدد البيزنطيون هجماتهم سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م ، حيث أغاروا على أطراف امارة سيف الدولة ، فسبوا وأسروا ، فتعقبهم حتى لحق بهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، واسترد ما أخذوا من المسلمين، واستطاع أخذ حصن (برزوية Berze) المنيع الذي يقع قرب السواحل الشامية[٨] • غير أن هذا النصر كان هزيلاً إذا ما قيس بما أحرزه البيزنطيون في مناطق أخرى • ومع ذلك أعاد الروم

البيزنطيون الكرد في سنه ٣٣٨هـ/٩٤٩م فهزموا محمد بن ناصر الدوله الحمداني نائب عمه بحلب ، عند قرية (بوقا) شمال انطاكية[٩] .

استفزت هذه الهجمات الأمير سيف الدولة ، فاستنفر رجاله وجنوده ، وجهز جيشاً من ثلاثين ألفاً ، والتحق به جيش طرسوس في أربعة آلاف مقاتل بقيادة القاضي أبي حصين بن عبدالملك،فأوغل في بلاد البيزنطيين سنة ٣٣٩هـ ، وفتح عدة حصون حتى وصل الى سندو ، ثم الى خرشنة الى أن وصل الى (صارخة) وهي على على بعد سبعة أيام من القسطنطينية فحاصرها ، ودارت بينه وبين القائد البيزنطي معركة حامية انتصر فيها الأمير سيف الدولة أيضاً، حيث ألحق بالبيزنطيين هزيمة منكرة ، وأسر جماعة من قادة الجيش البيزنطي ، وغنموا غنائم كثيرة جداً[١٠] .

وحين أراد الأمير الحمداني العودة سد عليه فوكاس (قائد جيش الروم) الطريق ، وحصره في مضيق لا منفذ له ، فقاتل القائد سيف الدولة قتالاً لا هوادة فيه ، واستبسل الى أقصى حدود الاستبسال ، وما زال يقاوم حتى تراجع مع نفر قليل من رجاله . وهكذا نجا أمير بني حمدان بأعجوبة تسلك في عداد الاساطير[١١] إلا أنه فقد عدداً كبيراً من جنده ، وارتجع الروم ما سبق أن أخذه سيف الدولة من السبي ، كما أخذوا خزائنه وكراعه[١٢] .

لقد كانت خاتمة غزوة سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م خسارة كبيرة للأمير سيف الدولة ، وخيبة أمل من آماله العريضة ، إذ بعدها انفسح

المجال للبيزنطيين ليعيثوا في بلاد المسلمين بأسرها ، ويسلبوا دون أن يصدهم أحد . ذلك أن فلول جيشهم هاجمت مدينة «سروج» القريبة من حلب، وخربوا مساجدها ، كما خربوا مدينة «مرعش» . ولم يكن سيف الدولة قد أخذ للأمر عدته بعد ، ومع ذلك خرج على رأس فئة من رجاله وتصدى لهم وأرغمهم على الخروج من تلك المنطقة ، فقال الشاعر المتنبي[١٣] :

لهذا اليوم بعد غد أريجٌ ... ونارٌ في العدوِّ لها أجيجُ

عرفتكَ والصفوف معبآت ... وأنت بغير سيفك لا تعيجُ

رضينا والدمستق غيرُ راضٍ ... بما حكم القواضبُ والوشيجُ

فإن يقدمْ فقد زرنا سمندو ... وإن يحجم فموعدنا الخليجُ

وفي اثر هذه المواقف طلب القائد البيزنطي نيسفور فوكاس الهدنة ، غير أن سيف الدولة رفض هذا الطلب ، على الرغم مما في نفسه من القلق والاضطراب . وصمم على أن يغزو بلاد الروم البيزنطيين ، ليثأر لنفسه . فاستجمع قواه ،وخرج الى بلاد الروم سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م ، فتوغل داخل بلادهم حتى سمندو[١٤]، فأعاد بناء ما هدمه البيزنطيون . والى ذلك أشار الشاعر أبو الطيب المتنبي بقوله[١٥] :

فيوماً بخيل تطردُ الروم عنهمُ

ويوماً بجودٍ تطردُ الفقرَ والجَدْبا

سراياك تَنتشرى والدمستق هارب"

وأصحـــابه قتلى وأموالـــه نهبـى

أتى مرعشاً يستقرب البعــدَ مقبلاً

وأدبر إذ أقبلــتَ يســتبعد القُــربا

كفى عجباً أنْ يعجبَ الناســ أنه

بنــى مرعشـــاً تباً لآرائهــم تبّــا

ورجحت كفة الأمير الحمداني على الروم البيزنطيين ســنتي ٣٤٢هـ و٣٤٣هـ ، فقد توغل سيف الدولة أيضاً في بلادهم،واستطاع الأمير الحمداني أن يستدرج عدوه الى ساحة ملائمة حيث دارت رحى معركة عنيفة تفوق فيها العرب المسلمون، وألحقوا الهزيمــة بعدوهم ، وأسروا (قسطنطين بن فوكاس) ، الذي نزل الأسر من نفسه منزلاً صعباً ، فضاقت الدنيا في وجهه ، وعراه ذهول غريب. وكان قد حمل الى حلب ، وظل مريضاً يعاني العلة(١٦) .

ومما يلفت النظر ، أن الامير سيف الدولة الحمــداني برهن في هذا الموقف على فروسية نادرة ، فقد تولى بنفسه تمريض الأسير واعتنى به غاية العنايــة . ولما توفي اعتنى بدفنــه أيضاً ، وأمــر النصارى فتولوا أمره ، بكفن فاخر ، ودفن في إحدى الكنائس ، وكتب الى أبيه يعزيه(١٧) . وبعد هذا الانتصار الباهر ،دخل بطلنا سيف الدولة حلب ، فعقدت له القباب ، وزينت المدينة ، وتغنــي الشعراء بهذا الانتصار(١٨) ، إذ قال الشاعر المتنبي:

لكل امرىء من دهره ما تعودا
وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

سريتَ الى جيحان من أرض آمد
ثلاثاً لقد أدناك ركض وأبعدا

فولى وأعطاك ابنه وجيوشه
جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا

وطلبت رزق الأسنة غيره
ولكن قسطنطين كان له الفدا

وفي هذه المناسبة نفسها قال الشاعر أبو فراس الحمداني :

وآب بقسطنطين وهو مكبل — تحف بطاريق به وزرازر
وولى على الرسم الدمستق هارباً — وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه — وللشدة الضماء تفنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره — ويدفع بالأمر الكبير الكبائر

وتجلى التحدي البيزنطي الجديد سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م ،إذ تشير الروايات التأريخية ان الامير سيف الدولة ، باشر في بناء حصن ثغر الحدث ، فقصده القائد البيزنطي فوكاس في جيش كثيف بلغ تعداده خمسين ألف فارس وراجل ، من جموع الروم ، والروس ، والبلغار ، والارمن ، والصقالبة ، والترك ، والخزر ، فأحاطوا بمعسكر سيف الدولة ، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين ، انتهت

بانتصار جيش سيف الدولة ، ومني البيزنطيون باندحار مريـع ، وقتل منهم نحـو ثلاثـة آلاف ، بينهم صهـر قسطنطين وبعض القواد[19] .وخلال هذه المعركة برهن الامير سيف الدولة الحمداني على شجاعة وجرأة نادرتين ، واستحق بجدارة لقب « حامي الثغور الاسلامية » إذ اخترق الصفوف يروم الفتك بالقائد البيزنطي الذي ولى هارباً ، وعاد الامير الحمداني وفي ركابه كثير من الاسـرى ، منهم صهر قسطنطين وابن ابنته ، وجماعة من البطارقة (القواد) ، بعد أن أتم بناء « حصن الحدث » . فخلد الشاعر الثائر أبو الطيب المتنبي هذه المعركة ، إذ تفجرت قريحته فأنشد قصيدة سما بها الى أوج البلاغة ، ودقة المعنى ، وعمق التصوير ، قال فيها[20] :

على قـدر أهل العـزم تأتي العزائم
وتأتي على قـدر الكرام المكـارمُ

بناهـا فأعلى والقنـا يقرع القنـا
ومـوج المنـايا حولها متلاطـمُ

وكيف ترجى الروم والروس هدمها
وذا الطعـن آسـاس" لها ودعائمُ

أتـوكَ يجـرون الحـديد كأنما
سـروا بجيـاد ما لهـن قوائـمُ

تجمع فيه كلُّ لسـنٍ وأمـةٍ
فما تُفهِم الحُدّاثَ إلاّ التراجـمُ

وقفت وما في الموت شكّ لواقفٍ

كأنك في جفن الردى وهو نائم

نمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسمُ

لم يكن المتنبي وحده قد خلد هذه المعركة ، بل ان أكثر شعراء سيف الدولة أسهموا في وصفها بشعر حماسي بليغ معبر كقول الشاعر السريّ الرفاء مخاطباً الأمير الحمداني فيقول[٢١] :

حميت يا صارم الاسلام حوزته

بصارم الحد حتى عزّ جانبهُ

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت

منه الحوادث حتى ذل راتبهُ

أعدته عدويّاً في مناسبه

من بعد ما كان رومياً مناسبهُ

إن الضربات الموجعة التي وجهت للروم البيزنطيين جعلتهم يحاولون إعادة الكرة في السنة التالية (٣٤٤هـ/٩٥٥م) ، فتصدى لهم الامير سيف الدولة ، وكانت طلائعه تسبقه ، وفصائل الاستكشاف تفسح له الطريق وتمهده ، حتى وصل الى مشارف « حصن الحدث » . فانهزمت فلول البيزنطيين دون أن يقع لقاء بين الطرفين . وعندئذ ضاق أمراء الثغور البيزنطية ذرعاً بهذه الحروب الطاحنة التي عصفت بزروعهم وضرعهم ، فأرسلوا وفداً

الى الامير سيف الدولة ، ومعهم رسول ملك الروم البيزنطيين ، يطلبون الهدنة . وكان سيف الدولة قد فك قيود الأسرى ، وخلع عليهم ، وأكرم مثواهم . وكان من نتيجة هذه الانتصارات ، وحسن معاملة سيف الدولة لهم ، أن دخل أمير طرسوس البيزنطي في طاعة الامير سيف الدولة(٢٢) .



هوامش الفصل الثالث

(١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣١٢ · الذهبي ، دول الاسلام جـ١ ، ص ص١٦٠–١٦١ ·

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ص٤٣٠ ·

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣١٢ · وحاشية ص٣١٢ ·

(٤) ن·م·

(٥) الكيالي ، سيف الدولة ، ص١٦٨ ·

(٦) مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٤/القسم الثاني ، ص١٨٦ · الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٤ ·

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٢٤ .

(٨) ن·م ، ص٣٢٩ ·

(٩) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٦١ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٣٤ ·

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٣٤ · الذهبي ، دول الاسلام جـ١ ، ص١٥٤ · السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ص١٦٢

(١٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٦٧ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٣٨ ·

(١٤) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٥ ·

(١٥) الكيالي : سيف الدولة ، ص٨٥ .

(١٦) ابن الجوزي . المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٧٢ · الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٥ ·

(١٧) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٦٧ ·

(١٨) الكبالي ، سيف الدولة ، ص‌ص٨٦-٨٧ ·

(١٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٧٥ . ابن الاثير ، الكامل جـ٦ ، ص٣٤٧ · الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص‌ص١٥٥-١٥٦ ·

(٢٠) المتنبي ، الديوان ، ص‌ص٥٤٩-٥٥١ ·

(٢١) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص‌ص١٢٦-١٢٧ ·

(٢٢) السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٧١ ·

الفصل الرابع

الجوانب الحضارية في امارة سيف الدولـة

١ـ الاعمال العمرانية :

على الرغم من أن الظروف أملت على امارة سيف الدولة طابعاً حربياً ، إلا أن ذلك لم يحل دون اهتمامـات الامـير الحمـداني بالجوانب العمرانية . فعلى أثر عقده الصلح مع الأخشـيديين ؛ واستقراره بمدينة حلب ، رأى أن يبدأ أولى أعماله العمرانيـة ، فأقدم على بناء قصره المنيف على سفح جبل «الجوشن» ، وسماه « قصر الحلبة » لأنه يقع في محـلة «الحلبة» من ضواحي حلـب الغربية . وهي مكان صحيح الهواء ،حسن التربة ، مشرف على نهر قويق . وقد خص الشعراء هذا القصر بكثير من وصفهم لما حـواه من دقائق الفن ، وبديع الزخرف والنقوش .

وفي الوقت نفسه ، كان هذا القصر مثار الدهشة والاعجـاب من قبل مؤرخي الغرب الذين فتنوا بروعته وفخامته ، ذلـك أن أبوابه كانت من البرونز النحاسـي ، نقشت عليها ألوف التصاوير

الجميلة . إذ جعل المصورون رسوم الزهور في أواسط القبب العالية ، حيث حفروا بين جهة وأخرى آيات من القرآن الكريم بأحرف كوفية جميلة ، وأبيات مختارة من الشعر العربي البليغ .

وفي قصر الحلبة عدة قاعات ملأى بالاعمدة المرمرية المزركشة والموشاة بالذهب والفضة . وكان للقاعة الكبرى خمس قبب يحملها مائة واثنان واربعون عموداً من المرمر المزركش بالفضة والذهب ، تنيرها عدد كبير من النوافذ الزجاجية الملونة . وفي وسط هده القاعة إفريز عظيم من خشب الابنوس الموشى بالذهب ، جعل خصيصاً لجلوس الامير سيف الدولة ورجاله المقربين ، عليه رسم الامير منتصباً . وفرشت أرض القصر بالسجاد الفاخر ، وتحيط القصر حدائق غناء واسعة تتخللها بحيرات كثيرة ، وبقربها سطبلات ذات معالف رخامية تتسع لألف جواد وجواد[1] .

إن هذا القصر المنيف ، الذي كان آية من آيات الفن المعماري البديع ، أتت عليه همجية الحروب ، وأحقاد الغزاة الطامعين الذين لا يبرد غليل انتقامهم إلا في التجني على أسمى ما يقدسه الفكر . إذ تشير الروايات التأريخية الى أن الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس ، الذي اشتبك مع بطلنا سيف الدولة أكثر من عشر مرات بقتال مرير ، انتهت آخر حروبه معه بهدم هذا الأثر الفني الفريد ، وبتحطيم أثمن ما فيه من أعلاق ونفائس ، وقطع فنية ثمينة . وبذلك ، خسر التراث العربي أروع أثر تأريخي ، كان يمكن أن يعطينا

أصدق صورة عن الانجازات المعمارية التي شيدها البطل العربي سيف الدولة[٢] .

لم تقتصر انجازات سيف الدولة المعمارية على بناء « قصر الحلبة » العظيم ، وإنما امتدت اهتماماته العمرانية لتشمل مدينة حلب وبقية مدن الثغور . فشيد المساجد والدور ، وبنى القلاع والحصون المنيعة[٣] .

٢ـ الحياة الاقتصادية :

تتمتع امارة القائد سيف الدولة بموقع جغرافي فذ ، ذلك أن مركز هذه الامارة «حلب» يقع في عقدة تلتقي عندها طرق القوافل التجارية التي تسير شرقاً نحو العراق والخليج العربي فالشرق الأقصى ، أو جنوباً نحو بقية مدن بلاد الشام ، ثم الحجاز واليمن ، وفرع آخر يتجه غرباً نحو مصر وشمال أفريقية ، وشمالا نحو بلاد الانضول . كل ذلك أدى الى نشاط التبادل التجاري . وكان الامير سيف الدولة قد ضرب دنانير ذهبية خاصة للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليها اسمه وصورته[٤] .

أما المنتوجات الصناعية في هذه الامارة ، فكانت كثيرة ومتنوعة قبل أن يدخلها القائد سيف الدولة الحمداني . ولا يوجد ما يشير الى أنها تعثرت أو حصلت معوقات ، عدا فترات تقدم الجيش البيزنطي في العمق . وهي مرات معدودة ، وتمت خلال فترات زمنية قصيرة . أما أهم الصناعات ، فتأتي صناعة المنسوجات

وفي مقدمتها الحرير والقطن والصوف • ثم صناعة أنواع الاسلحة التقليديــة التي كانت مستعملة حينذاك ، وبخاصــة السيوف التي تفنن الحلبيون بصنعها من الفولاذ الذي كان يحمل الى هذه الامارة من الخارج • هذا فضلا عن صناعة الزجــاج والأواني والأدوات المنزلية(٥) •

٣ـ الحيــاة الثقافية :

فتحت الميول الأدبية للأمير سيف الدولة ، المجال واسعاً أمام أدباء العربية وشعرائها ، فجذبتهم مدينة حلب • ذلك أن الأمــير الحمداني شعر بحاجته الى عطــاء هذه الفئة الموهوبة ، فجمــع شملها ، وأكرم مثواها ، وجعل منها وسيلة تتحدث عن انتصاراته، وتخلد ذكراه •

ولا غرو في ذلك ، فالأمير الحمداني كان يقرض الشــعر ، ويتذوق الأدب ، الذي درسه على يد شــيوخ معروفين ، وأدبــاء مبرزين • ان اجتماع هذا الدرس ، وميله الفطري للأدب دفعاه أن يرعى الأدباء والشعراء أكثر من غيره ، ويكفي أن نذكر هذه الأبيات نموذجاً لشاعرية سيف الدولة(٦) :

تجنى عليّ الذنبَ والذنبُ ذنبه
وعــاتبني ظلمــاً وفي شقه العَتْبُ

وأعرضَ لما صــار قلبي بكفّــه
فهلاّ جفــاني حين كان لي الغلــبُ

إذا بـرم المـولى بخدمةِ عبـده

تجنّى له ذنبـاً وإن لم يكـن ذنبُ

وفي الوقت نفسه ، فان مؤهلات سيف الدولة هذه وامكاناته، وشدة تذوقه للشعر الجيـد ، جعلته يختلف عن بقية المسؤولين في الدولة العربية الاسلامية في كشف خصـائص الشاعر ، وتقـدير مواهبه ، وقوة شعره . فقد كان أولئك يعتمدون في تقدير موهبة الشاعر ، وتقويم شعره ، على وزرائهم ورجال حاشيتهم ، بخلاف الامير سيف الدولة الذي كان يعتمد على ذوقه الخاص ، وثقـافته الأدبية العالية[٧] .

لقد أسهمت ميول سيف الدولة الادبية في نمو الحركة الأدبية وتطور الشعر والآداب . ذلك أن هذه المؤهلات حفزت الشـعراء الى الاجادة . فنظموا قصائد بليغة ومتينة ، رسمت صـورة فنيـة رائعة ، وأشادت ببطولات القائد سيف الدولة ، وأطرت قابليـاته وكان الشعراء إذا مدحوه ، مدحوه بصدق وايمان ، لأن سـامعهم كان يفهمهم حق الفهم .

وأحسب أن الامير الحمداني هو الذي ألهب شاعرية المتنبي، بغزواته ، وحروبه ، وبطولاته ، وفروسيته ، وبعطاياه ، وهباته . وبلا ريب ،فان البطولات الرائعة التي قام بها القائد سيف الدولـة هي من جملة العوامل التي ساعدت على ذيوع اسـم المتنبـي ، وبروز حسه القومي ، وخلود ذكره . ذلك أن الأمير الحمـداني

كان يؤثر المتنبي ويفضله على غيره من الشعراء • فأبدع وأطرب ، وتفجرت الحكمة ريانة من جوانب قلبه ، وطيات نفسه[٨] •

ومن الانصاف أن نقول أن شاعرية المتنبي وعبقريته ، أسهمت في رفع اسم القائد سيف الدولة عالياً • ذلك ان المتنبي أعطانا صورة واضحة عن المعارك الدامية التي خاضها سيف الدولة في حروبه مع أعداء العروبة والاسلام • وفي الوقت نفسه أطر لنا المتنبي نفس سيف الدولة الكبيرة ، وسجاياه النبيلة ، التي حار الشعراء في رسم صورها ووصف ألوانها • ذلك أن هذه الخصال هي التي أيقظت مئات المعاني الجديدة في فكر ووجدان الشاعر المتنبي •

والحق ان العظمة والمجد كانت بعض نثار بردة سيف الدولة بن حمدان ، وانه لم يشتر قصائد شعرائه بالمال ، بل كانت أعطياته صدى حقيقياً لتذوقه الأدب ، وإكرامه لرجال الأدب والفكر • وإن هذا الامير العربي لم تكن فروسيته ، وغزواته وحبه العميق للأدب موضع اعجاب المؤرخين العرب حسب ، بل هزت مناقبه وعبقريته وبطولاته في الحرب ، والذود عن الحمى ، مؤرخي الغرب ، فخصوه بالكثير من بحوثهم ودراساتهم ، مما جعله في طليعة الأمراء والقادة الذين تحاك حول أسمائهم هالة مضيئة من المجد[٩] •

لقد أسبغ الأمير سيف الدولة على الشعراء والأدباء أعطيات مجزية • فيروى أن الشاعر المتنبي أنشده قصيدته التي مطلعها[١٠]:

أجابَ دمعـــي وما الدّاعي سوى طَلَلٍ
دعـــا فلبـــاه قبل الركـــب والإبـــلُ

الى أن يقول :

يا أيها المُحســـن المشـــكور من جهتي
والشـــكرُ من قِبَلِ الإحسان لا قِبَلي

ما كان نومِيَ إلاّ فوق معـــرفتي
بأن رأيـــك لا يؤتـــى مـــن الزّللِ

فأمر سيف الدولة للشاعر المتنبي بعطاء سخي . ولذا نجـد أن المتنبي ترك حلب وأميرها سيف الدولة مرغماً ومضطراً ، ولـم يستطع أن يقضي بقية أيامه بجوار الامير الحمداني الذي بالـغ في إكرامه . ذلك أن الوشاة ، وفي مقدمتهم ابن خالويه ، فرقوا بين هذا القائد العربي الشجاع ، وبين الشاعر الذي امتلك حساً قومياً مرهفاً . ومع ذلك ظل قلبه معلقاً بحب الأمير سيف الدولـة الذي كان يوحي الى الشاعر الفذ بالمعاني الجزلة ، والخيال المبتكر .

وفضلاً عن المتنبي ، كان هناك عدد من الشعراء والأدبـاء والعلماء والفقهاء والقضاة والنحويين والفنانين ، عاشوا في كنف الأمير الحمداني سيف الدولة ، ونعموا بخيراته ، وزينوا مجالسه ، وتقدموا اليه بنتاج شعرهم ، وأصغى ما تلده قرائحهم الوقـادة . وكان سيف الدولة يغمر الجميع بعطفه وعنايته ، لأنه يعلم أن ذلك هو ربح أكيد للعلـوم والآداب والفنون ، وتمهيـد قوي لولادة

العبقريات . وبلا ريب ، فان ذلك كان من جملة العوامل التي أدت الى ازدهار الأدب العربي وتطوره[11] .

ولدينا ما يشير الى ان القائد سيف الدولة كان قد أجزل العطاء للخطاطين الماهرين أيضاً ، وانه استعملهم في كتابة الآيات القرآنية وأبيات من الشعر العربي البليغ المكتوب بخط مذهب جميل على جدران قصره في الحلبة . ومن هؤلاء أبو عبدالله بن مقلة ، أخو الوزير العباسي محمد بن مقلة الذي اشتهر هو الآخر بخطه الجميل . وكان في قصر سيف الدولة مكتبة زاخرة بأسباب المعرفة ، وكان يدير شؤونها الشاعر أبو بكر الصنوبري ، ومن بعده تولاها الشاعران أبو بكر وأبو عثمان الخالديان . ويقال أن الأمير الحمداني كان كثير القراءة ، حتى خلال غزواته لم ينقطع عن الاطلاع والقراءة ، إذ كان ينتهز فترات ما بين المعارك فيأوي الى خيمته وينصرف الى المطالعة[12] .



هوامش الفصل الرابع

(١) الكيالي ، سيف الدولة ، ص٧٢ .

(٢) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص١٥٧ .
الكيالي ، سيف الدولة ، ص٧٣ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٧٥ .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٤٧ .

(٤) الصولي ، الاوراق ، ص٢٣١ .

(٥) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص‌ص١٧٥-١٧٧ .

(٦) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص١٨٩ .

(٧) الكيالي ، سيف الدولة ، ص٧٦ .

(٨) ن.م ، ص٣٦ .

(٩) ن.م ، ص٢٧ .

(١٠) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص١٨٤ .
الكيالي ، سيف الدولة ، ص٧٦ .

(١١) الكيالي ، سيف الدولة ، ص٧٧ .

(١٢) الشكعة ، سيف الدولة الحمداني ، ص١٨٧ .

الفصل الخامس

البيزنطيون يركزون هجومهم على مدينة حلب

١ـ القائد نقفور فوكاس :

ركز البيزنطيون هجماتهم على مدينة حلب ، مستهدفين اسقاط الامارة العربية فيها . ذلك أنهم كثفوا من حملاتهم العسكرية ، وبخاصة في عهد الامبراطور « رومانوس الثاني » ، وقائده « نقفور فوكاس » ، الذي استطاع في سنتي (٣٤٥ و٣٤٨) الهجريتين أن يحرز انتصارات مشهودة على أمير حلب ، وأن يقف أمام القائد سيف الدولة الحمداني نداً كفءاً ، فاستطاع أن يدخل مدينة طرسوس وأن يقتل من أهلها ألفاً وثمانمائة رجل ، وامتد أذاهم الى القرى المجاورة لطرسوس[١] .

وهاجم البيزنطيون مدن حران والرها ، فقتلوا وسبوا وهدموا حصن الهارونية ، وكروا على ديار بكر ووصلوا ميافارقين[٢] ، وأسروا محمد بن ناصر الدولة ، وقتلوا ألفاً وخمسمائة رجل ، كما أنهم استطاعوا دخول سميساط وتخريبها[٣] . الامر الذي دفع الأمير سيف الدولة أن يرد على هجمات البيزنطيين الجديدة في سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م . ذلك ان الامير سيف الدولة لم

يكن كأولئك القواد الذين ينفخون روح الحماسة في صدور رجالهم ويدفعونهم الى الموت ثم يأمون الى قصورهم بعيدين عن نيران المعارك ، حتى إذا ما أتاهم النصر حصدوه وهم في نشوة وخيلاء . بل كان بطلنا سيف الدولة صاحب عقيدة وإيمان ، إذ شعر شعوراً قوياً بأن الجهاد في دفع الغزو الاجنبي فرض من الفروض المقدسة، لذا كان يتقدم صفوف جيشه وقلبه مطمئن الى نبل مقصده ، حيث خرج في ثلاثين ألفاً ، وتوغل في بلاد الروم البيزنطيين ، وفتح عدة حصون ، حتى وصل الى مدينة خرشنة ، وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً . إلا أن القائد البيزنطي نقفور فوكاس استطاع أن ينصب كميناً للقائد العربي سيف الدولة ، ويسد عليه درب العودة عند رجوعه(٤) .

وتشير الروايات التأريخية الى أن القائد سيف الدولة كان معتداً برأيه على الرغم من أن أهل طرسوس كانوا قد نصحوه أن لا يعود بالدرب الاعتيادي المطروق ، إلا أنه أصر على رأيه . وعلى الرغم من كل ما بذله الأمير سيف الدولة ورجاله من الحنكة والبطولة ، ومقاومة العدو ، فان النصر لم يحالفهم هذه المرة ، فخسر المعركة ، وأضاع معظم جيشه ، واسترد البيزنطيون أسراهم(٥) .

وتؤكد النصوص أن القائد سيف الدولة كان مهتماً بالمشاغلة التي أثارها معز الدولة البويهي ما بين (٣٤٧ــ٣٥١هـ) حين أقدم هذا المتسلط الأجنبي على احتلال بعض أجزاء الدولة الحمدانية(٦)، فقدم بذلك خدمة كبيرة للبيزنطيين ، حيث رفع عنهم ضغط الجيش

الحمداني الذي كان يوجهه اليهم القائد سيف الدولة بين حين وآخر • وبذلك استطاع البيزنطيون أن يحرزوا عدة انتصارات ، وأن يأسروا الشاعر أبا فراس الحمداني[٧] ، ويحملوه الى القسطنطينية ، حيث ظل في الأسر أربع سنوات ، إذ لم يطلق سراحه حتى سنة ٣٥٥هـ[٨] ، على الرغم من أنه القائل :

آقمتُ بأرضِ الروم عامين لا أرى

من الناسِ محزوناً ولا متصنعا

ويبدو أن الامير سيف الدولة كان مؤيداً من قبل القوى الشعبية من سكان الثغور ، ذلك أن الشعب في منطقة طرسوس ــ وهي قاعدة الجهاد ضد البيزنطيين ــ لما رأوا تخاذل حاكم المدينة وعجزه عن صد هجوم البيزنطيين ، راسلوا سيف الدولة ، وأعادوا الدعاء له في خطبة الجمعة ، وكأنهم أرادوا أن يعبروا عن استجابتهم به ، وتأييدهم وولائهم له ، الأمر الذي دفعهم أن يطلبوا عونه في قيادتهم ضد الروم البيزنطيين[٩] •

وتتجلى مقاومة الشعب للغزو البيزنطي عندما داهمت جيوش البيزنطيين منطقة الثغور في مائة وستين ألف مقاتل[١٠] يقودهم نقفورفوكاس الذي لم يكتف بكثافة هذا العدد الكبيرمن المقاتلين، بل زود جيشه بآلات تدمير الحصون ، وما لا بد منه لتذليل العقبات التي تعترض تقدم الجيش الزاحف • إذ تشير الروايات التأريخية أن هذا الجيش اصطحب ثلاثين ألف صانع ، للهدم واصلاح الطرق من الثلج ، وأربعة آلاف بغل عليها حسك الحديد،

عدا دبابات الحصار ، والنـار اليونانية التي كانت أقوى مدمرات الجيش البيزنطي في هدم المدن ، وحصد النفوس[١١] •

بهذا الجيش اللجب الكامل العـدة والعدد ، انقض نقفـور فوكاس على الثغور العربية الاسلامية ، وفي مقدمتها « عين زربة » التي كانت على سفح جبل عظيم ، وذات موقع سوقي مهم، وسبق للأمير سيف الدولة الحمداني أن أعاد تعميرها حيث أنفق عليهـا ثلاثة ملايين درهم[١٢] •

وعلى الرغم من أن القائد البيزنطي كان قد أعطى لأهل مدينة « عين زربة » الأمان ، إلا أنه سـرعان ما نكث عهده ، وسـمح لجنوده أن يعيثوا في المدينـة ، ويقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً مـن الرجال والنساء والصبيان ، وأجبروا البـاقين على الخروج مـن المدينة ، فهاموا على وجوههم ، فمات كثير منهم في الطرقات ،وقتل البيزنطيون من وجدوه بالمدينة آخر النهار ، وأخذوا كل ما خلفـه الناس من أموالهم وأمتعتهم ، وهدموا سور المدينة • وعلى شاكلة هـذه الصورة الشنيعة اجتاح نقفـور أربعة وخمسـين حصنـاً للمسلمين •

٢ـ الامير سيف الدولة يهب للدفاع عن حلب :

تقدمت الجيوش البيزنطيـة الكثيفة نحو حلب ، فحوّمـوا حولها ، يريـدون أن ينقضوا عليها ليدخلـوها في حوزتهـم ، ويستمروا في مهاجمة المدن العربية ، الواحدة تلو الاخرى ، كلما ساعدتهم الظروف •

فوجىء القائد سيف الدولة بالزحف الجديد للجيوش البيزنطيه في وقت متأخر ، فأثار حميته ومروءته وشجاعته ، وأخذ يقرع في سمع جنوده الميامين ، آن هبوا لدفع هذا الخطر ، فان الوطن مهدد بغزو آجنبي . وتشير الروايات التأريخية أن بطلنا سيف الدوله لقي عناء كبيرا في جمع الجند ، وانه جمع ما استطاع جمعه من وحدات جيشه بكثير من الجهد . ومع ذلك فقد هب للتصدي للجيوش الغازيه ، وأسرع الى ساحة القتال ليلقى خصمه بجيشه العظيم .

طلب الأمير سيف الدولة من آهل مدينة حلب أن يغلقوا أبواب المدينة ، ويكون هو في ظاهرها لملاقاة الروم البيزنطيين . فأبى عامة الحلبيين وقالوا : « لا تحرمنا أيها الأمير الجهاد ، وقد كان فينا من يعجز عن المسير الى بلد الروم للغزو ، وقد قربت المسافة» . فلما رأى اصرارهم قال لهم : « انهضوا فاني معكم »[١٤] ، ووزع بينهم الاسلحة ، وقاتل الغزاة بشجاعة نادرة ، وما زال حتى شعر أنه يحاول المستحيل ، إذ كان يتصدى لثمانين ألف جندي بيزنطي، بأربعة آلاف مقاتل عربي ، فتراجع نحو العمق[١٥] .

وازاء ذلك شعر الحلبيون أن لا قبل لهم في مقارعة الروم البيزنطيين ، فأخذوا يدافعون من داخل أسوار مدينتهم ، بالروح المعنوية العالية التي أيقظها الأمير الحمداني في نفوسهم ، فألحقوا بالروم البيزنطيين خسائر كبيرة[١٦] .

٢ـ الجيش البيزنطي يدخل مدينة حلب :

على الرغم من المقاومة العنيفة التي أبداها الحلبيون وهم يدافعون عن مدينتهم ، استطاع القائد البيزنطي نقفور فوكاس وجيشه أن يدخل المدينة التي كان أهلها يقاسون الجوع والضر ، وأن يحدث فيها مجزرة بشعة ورهيبة ، ذهب ضحاياها كثير من المدنيين الأبرياء ، وسبى من البلد بضعة عشر ألفاً ، وفتك بالأسرى الذين كان عددهم ألفاً ومائتي رجل (وفي رواية أخرى كانوا مائة وخمسين ألفاً) ، ونهبت الدور والمتاجر ، وأحرقت الاسواق والمساجد وأكثر دور المدينة ، إذ استمرت أعمال القتل والحرق والنهب تسعة أيام[١٧] . وتذكر النصوص أن القائد البيزنطي نقفور فوكاس لم ينسحب من مدينة حلب إلا بعد أن سمع أن العرب المسلمين القاطنين في الجزيرة الفراتية ، ومنطقة الثغور ، قد هبوا لنجدة اخوانهم وأنهم كونوا جيشاً جراراً من المتطوعين للذود عن قومهم[١٨] .

لقد أحدث احتلال مدينة حلب واستباحتها صدى عميقاً في أرجاء الدولة العربية الاسلامية . ذلك أن الخسارة التي نجمت عن احتلال هذه المدينة العربية كانت فادحة فعلاً ، فضلاً عن خسارة آلاف الضحايا من العرب المسلمين ، بين قتلى وأسرى ، ونساء ورجال ، فقدت الأسرة الحمدانية عدداً من أفرادها الذين يعدّون قواداً لامعين ، من أمثال : أبي طالب بن داود بن حمدان ، وابنه داود بن علي ، وابن الحسين بن حمدان ، كما قتل كاتب الأمير سيف الدولة أبو محمد القاضي . فضلاً عما أصاب مؤسسات

المدينة ، من مساجد ، وعمائر ، وقصور ، ودور ، وأسواق من خراب نتيجة الحرق والنهب والتخريب . وقد دمر «قصر الحلبة» وهو قصر نفيس شيده الأمير الحمداني سيف الدولة ، وصرف عليه أموالا طائلة . وكان البيزنطيون المحتلون قد نقلوا أبواب هذا القصر المذهبة للقسطنطينية ، وهي خسارة فنية لا تعوض[١٩] .

إلا أن قلعة مدينة حلب بقيت صامدة أمام أطماع الغزاة البيزنطيين ، على الرغم من اصرار ابن أخت القائد البيزنطي نقفور فوكاس على اقتحامها . وكان هذا الشاب الطائش قد لاقى حتفه من قبل المدافعين عن القلعة والذين عزّ عليهم أن يطأ الاجنبي أرض بلدهم .

إن صمود المدافعين عن قلعة حلب أفزع القائد البيزنطي نقفور فوكاس ،وخشي من حصول مفاجآت غير منتظرة ، فقرر الانسحاب، مكتفياً بما ألحقه بسكان مدينة حلب وضواحيها ، من الترويع والقتل والنهب والحرق والتدمير[٢٠] .

وصمدت المعاقل التي سبق للأمير الحمداني سيف الدولة أن حصنها ، وبخاصة « المصيصة ، وطرسوس » التي عرف أهلها بالصبر والجهاد ، وبقوة العزيمة . إذ وقف هؤلاء أمام أطماع القائد البيزنطي السفاك ، ولم يستطع أن ينال منهما شيئاً ،لاسيما بعد أن وصلت طلائع بطلنا سيف الدولة الى مشارف مدينة « طرسوس » ، فتعزز موقف المدافعين عن المدينة . ورأى سيف الدولة ، وهو الخبير في فنون الحرب ، وفي معرفة هذه الدروب ،

أن يشطر الجيش الى فرقتين ، حـدد لكل منهما مهمـات معينة ٠ وبذلك صمدوا ، ثم أخذوا يضغطون على جيش العدو، حتى دفعوه الى خارج حدود بلاد الاسلام ٠

لقد كان رد الفعل عنيفاً في بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، حيث أغلقت الأسواق ، وتجمهرت أعداد هائلـة من عامة الناس في باب دار الخلافة ، وطالبوا الخليفة العباسـي أن يخرج بنفسـه ويقودهم للجهاد ضد الروم البيزنطيين ، وإلا فسوف يقومون بعزله وتولية خليفة آخر يستطيع أن يرد على تحديات الأعداء ، ويـدرأ عن بلاد الاسلام الغزو الاجنبي[٢١] ٠ ولم يرضَ الشعب باقتراح الخليفه القاضي بأن نوكل هذه المهمة الى معزالدولة البويهـي بأن يعالجها ٠ ذلك أن حس الشعب المرهف أيقن ألا يرد كيد الاعـداء إلا أبناء البلد ، وإن هؤلاء الدخلاء المتغلبين المتسلطين لم يكونوا غيورين على مصلحة الشعب والوطن ٠ وقد صدق حدس شـعب بغداد ، ذلك أن هذا المتسلط البويهي قام بصرف المتجمعين صرفاً سيئاً[٢٢] ٠

وكم كان يؤلم الخليفة العباسي أن يقف البويهيـون هـذا الموقف المزري من القائد العربي سيف الدولة الذي كان يطمع أن تصل اليه نجدات خليفة المسلمين ليتمكن من صـد الغـارات الاجنبية على تخوم الدولة الشمالية ٠

أما الأمـير سيف الدولة ، فقد استفزته حادثة دخول الجيش البيزنطي مدينة حلب ، وراعه ما أحل بأهل المدينة من آلام ٠ فأخذ

يستجمع القوى ، من هنا وهناك ليرد عادية الروم البيـزنطيين •
وأوكل الى أهل مدينة طرسوس مهمة غزو بلاد الروم ، كما قام من جانبه بتجهيز حملة وقيادتها ضد الـروم البيزنطيين سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م • إلا أن المرض نزل به ، وكاد يقعده ، فلم يسـمح له بأن يتوغل في بلادهم كثيراً ، حيث قفل راجعاً ، والضعف بادٍ عليـه، بعد تلك الملاحم الكبار التي طيـّر بها لب العدو البيزنطي ، ذلك أن النفوس الكبيرة لا يقعدها عن مطامحها وتحقيق رسالتها شيء •

وفي الوقت الذي كان المرض قد أعاق الامير سيف الدولة ، فقد فتت الخيانات الداخلية عضـده ، التي جاءت من العناصـر الغريبة الدخيلة التي كانت في جيش الامير الحمداني ، مثل تآمـر رشيق النسيمي ، وابن الأهوازي ، ودزبر الديلمي ، الذي تلقـى دعماً وتأييداً من معزالدولة البويهي • كل هؤلاء تواطأوا مع الروم البيزنطيين ، حتى أنهم أسهموا في تسليم طرسوس الى الاعداء[٢٣]• وكان الشاعر أبو الطيب المتنبي قد حذر الأمير الحمداني من غـدر مثل هذه العناصر ، حيث قال[٢٤] :

كيف لا يأمـن العراق ومصـرٌ	وسـراياك دونها والخيولُ
لو تحرفت عن طريق الأعـادي	ربط السدرُ خيلهم والنخيلُ
ودرى من أعـزّه الدفـع عنه	فيهما أنه الحقـير الذليـلُ
أنتَ طول الحياة للـروم غاز	فمتى الوعـد أن القفـولُ
وسوى الروم خلف ظهرك روم	فعلى أيّ جانبيـك تميـلُ

قعـد الناس كلهم عن مساعيـ ـك وقامت بها القنا والنصولُ

ما الذي عنـده تدار المنـايا كالذي عنده تدار الشمولُ

ومع ذلك فان الأمير سيف الدولة لم يقف مكتوف اليـدين ، فانتفض على هؤلاء الخونة المتآمرين ، وسدد اليهم ما يستحقونه من عقاب ، وصان امارته من عبثهم[٢٥] . هذا فضلاً عن المحاولـة الانفصالية في ولاية حران التي قام بها ابن أخيه هبةالله بن ناصـر الدولة ، الذي كان يدير أمور حران حينذاك . إذ أشاع أن القائد سيف الدولة قضى نحبه ، بغية أن يستقل بمقاطعة حران ، فأعلـن تمرده على عمه أمير حلب .

لقد حز هذا الأمر في نفس القائد سيف الدولـة ، فرأى أن يرسل غلامه « نجا » الى حران لاخماد تمرد هبةالله . لكن «نجا» بدلاً من أن ينفذ أوامر سيف الدولة أظهر العصيان عليه ، وفرض على أهالي حران ضرائب اضافية ثقيلة ، وتعسف عليهم ، ثم سـار الى ميافارقين .

لم يستطع الأمير سيف الدولة أن يصـبر على خيانة غلامـه «نجا» . فعلى الرغم من وطأة المرض الذي كان يصارعه ، خـرج لتأديب «نجا» الذي فرّ مسرعاً الى بلاد ارمينية . وعندئذ عـادت سيطرة الأمير الحمداني الى ميافارقين وديار مضر وحران وبقيـة مدن الجزيرة الفراتية[٢٦] .

٤ـ نهاية الامير سيف الدولة :

لقد عزّ على الأمير سيف الدولة أن تغمض عيناه غمضتهما الاخيرة وصفوة رجاله الميامين في الأسر . فطلب من القائد البيزنطي نقفور هدنة يتبادل خلالها الطرفان الاسرى . فقبل نقفور هذا الاقتراح ، فأطلق سيف الدولة من كان عنده من القواد البيزنطيين كما أطلق نقفور عيون رجال سيف الدولة وكان بينهم الشاعر أبو فراس الحمداني ، ومحمد بن ناصر الدولة وغيرهما . ثم فدى سيف الدولة ألفي أسير عربي بمائة وستين ألف دينار ، إذ دفع عن كل أسير ثمانين ديناراً .

ولكن كل المؤشرات كانت تنبىء أن بطولة هذا القائد العربي قد انتهت عند هذا الحد . فقد عاجله المرض ، وألح عليه ، وما زال يقاوم ويدافع حتى واتته المنية يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة ٣٥٦هـ/٩٧٢م ، فقضى مدافعاً عن فكرة قومية سامية ، وعن وطن أحبه ، وعمل على رفع مكانته . فتخلص الروم البيزنطيون من أخطر عدو ظهر على حدودهم . ذلك أن هذا القائد العربي ، كان قد التقى بالبيزنطيين أكثر من أربعين مرة ، في حروب دامية ، سجل خلالها انتصارات كبيرة على أعدائه ، وألحق بهم هزائم منكرة .

لقد كان الأمير سيف الدولة عظيماً في انتصاره ، كما كان عظيماً في انكساره . وكانت الامبراطورية البيزنطية تخافه منتصراً، وتجله منكسراً .

وتشير الروايات التأريخية الى أن بطلنا سيف الدولة ، كان قد جمع شيئا من نفض الغبـار الذي تجمع عليه في غـزواته ، وعمله لبنه بقدر الكف ، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفـذ أهله وصيته هذه .

لم يستطع خلفاء الأمير سيف الدولة من أن يملأوا الفـراغ الذي تركـه[٢٧] ، الأمـر الذي سهل على الـروم البيزنطيين أن يتوغلوا في بلاد الشام وبعض مدن الجزيرة الفراتية ، وبعدئذ عقدت هدنة بين الطرفين عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م ، فيها شروط مجحفـة للعرب المسلمين[٢٨] .



هوامش الفصل الخامس

(١) ابن الجوزي . المنتظم . جـ٦ . ص٣٨٠ . ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة . جـ٣ . ص٣١٤ .

(٢) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٧ .
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٣ ، ص٣٢٢ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٣٨٧ .
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٣ ، ص٣١٩ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٥٨ .

(٥) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ص١٨٠ . السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٧٤ .

(٦) مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٢/القسم الثاني ، ص٢١١ .
ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، جـ٣/القسم الاول ، ص ٣٠٥ و٣٠٧ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٣ ، ص٣١٩

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٨ .
الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٩ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٣٣ .

(٩) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٠ . العيون والحدائق ، جـ٢/القسم٢ ص٢٢٢ .

(١٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٠ .

(١١) ن.م ، ص١٩٣ .

(١٢) ن.م ، ص ص١٩٠-١٩١ .

(١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٧ ص٢-٣ .

(١٤) ابن العديم ، زبدة حلب ، جـ٢ ، ص١٣٤ . نقلا عن السامر ، الدولة الحمدانية جـ٢ ص١٨٠ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٤ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٧ ، ص٣ .

(١٦) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٢ .
ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٨ .

(١٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٩ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٩ .

(١٨) السامر ، الدولة الحمداية ، جـ٢ ، ص‌ص١٨٤–١٨٥ .

(١٩) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص‌ص١٩٢–١٩٣ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٧ ، ص٨ . السامر ، الدولة الحمدانية جـ٢ ، ص١٨٥ . الكيالي ، سيف الدولة ص‌ص١١٣–١١٤ .

(٢٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص‌ص١٩٢–١٩٣ . ابن الاثير الكامل ، جـ٧ ، ص٣ .

(٢١) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٩٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٥٩ . السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ٢ ، ص١٨٥ . الكيالي ، سيف الدولة ، ص‌ص١١٣ .

(٢٢) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص٢٠١ (حاشية) .

(٢٣) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص٢١٤ .

(٢٤) المتنبي ، الديوان ، (شرح فريدرخ ديتريص) ، ص٦١٧ .
هادي نهر ، مع المتنبي في شعره الحربي ، ص٢٦ .

(٢٥) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص‌ص٢١٤–٢١٥ . ابن الاثير الكامل ، جـ٧ ، ص‌ص١٤–١٦ .

(٢٦) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص‌ص٢٠٨–٢٠٩ .

(٢٧) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، جـ٣ ، القسم الاول ، ص‌ص ٣٧–٣٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٧ ، ص٣٤ . الكيالي ، سيف الدولة ، ص١٢٥ .

(٢٨) ابن الاثير ، االكامل ، جـ٧ ، ص٣٧ .

الخاتمـــة

في ثنايا تأريخنا العربي الاسلامي ، مآثر خالدة ، وابداعـات أصيلة ، في السياسة ، والمعارف والحروب • من الواجب دراستها والتمعن فيها ، وتوظيفها في خدمة الانسان •

كان الأمير سيف الدولـة الحمداني من جملة القادة العرب الذين سجل لهم التاريخ مواقف بطولية رائعة وكثيرة • إذ خـاض سيف الدولة العديد من المعارك ، فانتصـر وخذل ، ولكن نفسـه الكبيرة التي عجنت بخميرة المجد كانت تعلـو على كل السفاسف ومتع الحياة الزائلة •

ومع أن الامير الحمداني لم ينج من رشاش تلك المعارك التي خاضها ، إلا أن نفسه سمت الى ما هو أعلى وأسمى • ذلك أنه لم يكن هدفه في الحياة الحصول على المغانم ، إذ كان هدفه حمـل عبء النضال القومي ، والذود عن حياض الأمة والوطن حقبـة من الزمـن •

وبعمله هذا يكون سيف الدولة قد كرس جهوده للدفاع عن أرض وممتلكات الدولة العربية ، ذلك أن هذا الأمير ظهر كقائـد عسكري لامع ، عـُد من عظماء قادة الدولة العربية الاسـلامية •

فكان إذا جد الجد ، ودعا داعي الجهاد ، انتفض انتفاضه الأسد ، وارتفعت في نفسه روح البطولة السامية . فخاض الحروب التي كان لها أثرها في اعلاء شأن الوطن ، والارتفاع باسمه الى مصاف البطوله والفداء . فلا غرو أن أفسحت له صحف التاريخ حيــزاً واسعاً بين طياتها ، وخلدت اسمه بين أعاظم قادة العرب المســلمين الذين كان لهم دور صدارة ورياسة وقيادة وتحمل لمسؤوليةالدولة العربية الاسلامية على الرغم مما أحاط بها من محن ، وما أصابهــا من تفكك ، وما تعرضت له من محاولات تآمرية دبرتها العناصــر الشعوبية الحاقدة الدخيلة .

لقد تمتع القائد سيف الدولة الحمداني ببصيرة قيادية فذة . وكانت هذه البصيرة ذات أثر بعيد في تحقيق انتصاراته ، وهزيمة أعدائه . فهو لم يقاتل بسيفه حسب ، بل كان يقاتل بسيفه وعقله معــاً .



أهم المصادر والمراجع

١ ـ ابن الأثير ـ علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ)
الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٩٦٧) .

٢ ـ ابن آدم ـ يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هـ)
الخراج ، دار المعرفة ، (بيروت :١٩٦٩)

٣ ـ ابن تغري بردي ـ جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨١٣) . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة : ١٩٥٦) .

٤ ـ ابن الجوزي ـ عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . حيدرآباد الدكن ١٣٥٧هـ .

٥ ـ ابن خالويه ـ الحسين بن أحمد الحمداني .
شرح ديوان أبي فراس ، (دمشق:١٩٤٤) .

٦ ـ ابن خياط ـ خليفة بن خياط .

٧ ـ ابن شاكر الكتبي ـ محمد بن أحمد (ت٧٦٤هـ) .
فوات الوفيات ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٥١) .

٨ ـ ابن شداد ـ عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم .
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، (دمشق : ١٩٧٨) .

٩ ـ ابن كثير ـ عمادالدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).
البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٣٢) .

١٠ ـ أبو يوسف ـ يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) .
الخراج ، دار المعرفة ، (بيروت ١٩٦٩) .

١١ ـ التنوخي ـ القاضي أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ) ٠
نشوار المحاضرة ، مطبعة المفيد ، (دمشق:١٩٣٠) ٠

١٢ ـ الذهبي ـ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
دول الاسلام ، مطبعه جمعيه دار المعارف ، (حيدرآباد ١٣٦٤هـ)

١٣ ـ الدوري ـ تقي الدين عارف (الدكتور) .
عصر إمرة الامراء في العراق ، مطبعة أسعد ، (بغداد ١٩٧٥) ٠

١٤ ـ الزركلي ـ خير الدين ٠
الأعلام ، مطبعه كوستاتسوماس ، (مصر ١٩٥٤) .

١٥ ـ السامر ـ فيصل (الدكتور) ٠
الدولة الحمدانيه في الموصل وحلب ، مطبعة الجامعة (بغداد : ١٩٧٣) ٠

١٦ ـ الشكعه ـ مصطفى
سيف الدولة الحمداني ، ط١ ، دار القلم ، (القاهرة:١٩٥٩) ٠

١٧ ـ الصولي ـ أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ) ٠
الأوراق (أخبار الراضي بالله والمتقى لله) ، (القاهرة١٩٣٥)

١٨ ـ الطبري ـ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)
تاريخ الرسل والملوك ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة ١٩٦٦)

١٩ ـ فهمي ـ عبدالرحمن (الدكتور) ٠
مجموعه النقود العربية وعلم النميات ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة ١٩٦٥)

٢٠ ـ القرطبي ـ عريب بن سعيد (ت٣٦٦هـ) .
صلة تاريخ الطبري ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة:١٩٣٩) ٠

٢١ ـ الكبيسي ـ حمدان عبدالمجيد (الدكتور) ٠
عصر الخليفة المقتدر بالله ، مطبعة النعمان ، (النجف:١٩٧٤) ٠

٢٢ ـ الكيالي ـ سامي ٠
سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، دار المعارف ، (مصر:١٩٥٩)

٢٣ ـ مؤلف مجهول ـ
العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، (بغداد:١٩٧٣) .

٢٤ ـ متز ـ آدم
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، (القاهرة١٩٤٨)
٢٥ ـ المتنبي ـ أحمد بن الحسين ٠
الديوان ، شرح فديرخ ديتريص ، (برلين:١٨٦١) ٠
٢٦ ـ المسعودي ـ علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (القاهرة:١٣٠٣هـ) ٠
٢٧ ـ مسكويه ـ أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ)
تجارب الامم وتعاقب الهمم ، مطبعة شركة التمدن (القاهرة : ١٩١٥) ٠
٢٨ ـ نهر ـ هادي (الدكتور)
مع المتنبي في شعره الحربي ، مطبعة الجامعة ، (بغداد:١٩٧٩)
٢٩ ـ الهمداني ـ محمد بن عبدالملك (ت٥٢١هـ) ٠
تكملة تاريخ الطبري ، (بيروت:١٩٦١) ٠
٣٠ ـ ياقوت ـ أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ)٠
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت:بلا) ٠
٣١ ـ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٨٤هـ) ٠
مشاكل الناس لزمانهم ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت:١٩٦٢)

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم
طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : سبعمائة وخمسون فلسا